الحياة الاقتصادية في مصر زمن سلاطين المماليك

(٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧ م)

دكتور

صبحي عبد المنعم محمد

استاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد

كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحياة الاقتصادية في مصر زمن سلاطين المماليك
(٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م)

إعداد

دكتور صبحي عبد المنعم محمد

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

المساعد بكلية دار العلوم- جامعة الفيوم

توطئة:

أسس المماليك دولة قوية ذات سيادة جعلت أعداءها يهابونها ويخشون قوتها، وقد شهد عصر دولة سلاطين المماليك في مصر الذي امتد إلى أكثر من ثلاثة قرون (٦٤٨- ٩٢٣ هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م) حضارة زاهرة بمظاهرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية حيث حدث الرخاء الزراعي، ونهضت الصناعة وزاد إنتاجها وتقدمت التجارة الداخلية وكثرت العلاقات مع العالم الخارجي وسرت في المجتمع مظاهر جديدة أتيح لها وقت تقوي فيه جذورها ويزداد أثرها فالمماليك أوجدوا في مصر حكما يعد أقوى حكم في العالم كله آنذاك إذا قورن بحكم أي دولة إسلامية أخرى في إفريقية أو آسيا أو أوروبا، فقد صارت مصر في زمنهم دولة قوية احتلت الصدارة في حكم العالم الإسلامي وصارت لها الريادة الحضارية التي هي امتداد لريادة مصر الحضارية عبر العصور الممتدة إلى آلاف السنين قبلهم، وإن اتخذت في عهدهم الطابعين العربي والإسلامي ولم تكن الحضارة والتقدم الاقتصادي لتنشأ فجأة؛ بل لابد أن تكون السبل قد تمهدت تدريجيا أمامها وتجمعت عوامل داخلية وخارجية امتزج بعضها ببعض وبخاصة منذ زمن الفاطميين والأيوبيين حيث أخذ أثر هذا التمهيد وهذا التفاعل يبدو واضحا زمن المماليك حيث شمل التطور جميع القطاعات الاقتصادية نتيجة للظروف الطبيعية الملائمة وسيادة الأمن والاستقرار، وباستثناء فترات قصيرة نتجت عن بعض الفتن والثورات وقد تعددت مصادر الثروة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي ومما لا شك فيه أن الدعائم الثلاث التي يقوم عليها الاقتصاد هي الزراعة والصناعة والتجارة وهذا ما سوف نتناوله فيما يلي:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- الزراعة:

مدخل:

اهتم المسلمون بالزراعة والعناية بالأرض وتنمية الثروة الزراعية، فقد حث الرسول- صلى الله عليه وسلم- على- الزراعة فقال:"ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة"(١)، وعن جابر أن النبي- صلى الله عليه وسلم- دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل فقال: لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة" (٢).

واهتمت الحكومة الإسلامية بزيادة رقعة الأراضي الزراعية فقد قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-"من أحيا أرضا ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق"(٣).

وقررت الحكومة الإسلامية أن من أحيا أرضا ميتة فهي له يزرعها ويزارعها ويؤاجرها ويكري منها الأنهار ويعمرها بما فيها مصلحته، فإن كانت في أرض العشر أدى عنها العشر، وإن كانت في أرض الخراج أدى عنها الخراج، وإن حفر لها بئرا أو شق لها قناة صارت أرض عشر(٤).

ونهجت الحكومة الإسلامية نهجا حكيما في رعاية المزارعين وعدم إرهاقهم بالضرائب وتخفيف العبء عنهم ليقبلوا على الزراعة، فإذا زرع الفلاح أرضه الخراجية عدة مرات في السنة لم يؤخذ منه إلا خراج واحد(٥)وإذا أصابت المحصولات الزراعية آفة أو تعرضت للغرق سقط الخراج عن صاحبها(٦)بل راعى الخراج نوعية الأرض الزراعية

---

(١)مسلم: صحيح مسلم ج١/٦٧٨.

(٢)نفسه.

(٣)أبو يوسف: كتاب الخراج ٧٠.

(٤)وليم نظير: الثروة النباتية ص٧١.

(٥)البلاذري: فتوح البلدان ص٤٣٤.

(٦)المصدر السابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مـــن ناحية الجودة، فالأرض الجيدة التي يزكو زرعها يزيد خراجها عن الأرض الرديئة التي يقل ريعها[١].

وقـــد ســـاوت الحكومة الإسلامية بين الأرض المزروعة والأرض غير المزروعة في الخـــراج[٢]حث أصحابها على زراعتها، ولقد كانت الزراعة في مصر منذ أقدم العصور فكانـــت كشـــفا جديـــدا في حياة الإنسان وحضارته فبعد أن كان مجال الحياة أمامه يكاد ينحصـــر فـــي جمـــع النبات والتقاط الثمار البرية أو في الصيد والقنص بدأ يزرع الحب ويجنـــي الحصاد، وأصبح يعيش بطريقة إنتاجية بعد أن كان يعيش على قوت يومه تحت رحمة الطبيعة وما تجود به عليه[٣]، وصارت الزراعة دعامة أساسية في حياته.

وقد انفردت أرض مصر بميزة خاصة وهي وجود نهر النيل وفيضانه الذي كان يمدها بالطمـــي والمـــاء فيعطـــي الخصب والحياة لأرض مصر الطيبة التي تعارف الفلاحون المصـــريون علـــى تقسيمها من حيث الجودة إلى عدة أقسام منها الباق وهي الأرض التي اشـــتهرت بجودتهـــا وخصبها وسهولة ريها وتصلح لزراعة القمح، وتعتبر أعلى الأرض قـــيمة وأوفـــرها سعرا وقطيعة، ويلي هذا النوع من الأراضي نوع يصلح لزراعة الكتان وبعـــض النباتات الأخرى ويسمى البرايب، وهناك أنواع أخرى مثل السقماهية والسلايح والـــنقا وهي أنواع من الأراضي تصلح للزراعة بعد أن يجري بها قدر من الإصلاح مع وفرة مياه الري، ومن الأراضي ما لا تصلح فيها الزراعة إلا بعد تنقيتها مما علق بها من الأوســـاخ وتســـمى أرض الوسخ كما توجد أراضي الشراقي التي لا تصل إليها المياه في يسر وسهولة ويجب تركيب السواقي اللازمة لرفع المياه إليها[٤].

وقـــد اهتمت الدولة المملوكية بحفر الترع وإقامة الجسور حرصا على وصول المياه إلى أراض لم تصل إليها من قبل.

---

(١)الماوردي: الأحكام السلطانية ص١٢٩.

(٢) المصدر السابق ص١٣١.

(٣)وليم نظير: الثروة النباتية ص٣٣.

(٤)المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٠-د.السيد الباز العريني مصر في عصر الأيوبيين ص١٨٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالـزراعة في مصر لم تكن من النوع الفطري الذي يعتمد على المطر وإنما اعتمدت على مياه نهر النيل التي كانت تستلزم توحيد الجهود وتنظيمها لحفر الترع وشق القنوات وتنظـيم جريان المياه وتوزيعها وإقامة الجسور بين الحياض للإفادة من مياه النهر عند فيضـانه[1]، وسـاد فـي زمن المماليك ثلاثة أنواع من الإقطاع: إقطاع تمليك الأراضي وإقطاع استغلال ويأتي في مقدمته إقطاع السلطان لبعض الأراضي التي يجوز له إقطاعها لجـنده وأمـرائه لاستغلالها من غير تمليك ولا تأييد بما يستحقونه من الكفاية العسكرية وصـار مـن أكثر أنواع الإقطاع شيوعا بعد إلغاء السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون(٩٠٧-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤٠م)للصنف الثاني من الإقطاع وهو إقطاع شئ من الخراج للجند والأمراء بدلا من الرواتب المقررة لهم على بيت المال، وأما الإقطاع الثالث فيسـمى إقطـاع الإرفـاق ويقوم على إقطاع المعادن التي تحتاج إلى جهد لاستخراجها كالذهـب والفضـة والنحاس أو إقطاع جزء من الطرق والشوارع والأسواق دون تملك واستخدمت كلمة الإرفاق آنذاك للدلالة على أن هذه الإقطاعات إقطاعات خدمه وتتعارض محاولـة تملـك القطائع مع المبدأ الأساسي للإقطاع، وهو إقطاع المقطع حق المنفعة فقط دون ملك رقبة الأرض للحصول على مبلغ من المال يتناسب مع مقدار عطائه المقرر في بيت المال مقابل تفرغه للجهاد والقتال دفاعا عن وطنه مما يعني أن على السلطان معرفة مقـدار راتـب كـل مقطـع قبل إطلاق إقطاعه، ولقد اقتصرت الأراضي المقطعة على الأراضي الزراعية واستثنى منها الغابات والمروج والقرى والجبال والصحاري[2].

ولقـد قسـمت الأراضـي الزراعية زمن المماليك إلى أربعة وعشرين قيراطا اختص السلطان منها بأربعة قراريط للكلف والرواتب وغيرها وخصصت عشرة قراريط للأمراء والعشرة الباقية للأجناد، وقد روعي في ذلك التقسيم أن توزع الأرض كما ذكرنا في شكل إقطاعات ولكن هذه الإقطاعات تتفاوت من حيث الري والخصوبة ووفرة الإنتاج فاختص

---

(١) وليم نظير: الثروة النباتية ص٣٠.

(٢) د. عامـر نجيـب موسـى ناصر: الحياة الاقتصادية في مصر ص١١٤ دار الشروق ٢٠٠٣ غزة الأردن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السلطان وكبار أمرائه بأجود هذه الأراضي أما الأراضي المتوسطة الجودة فكانت تقطع للمماليك السلطانية والأخرى الأقل جودة تقطع للأجناد والعربان والمماليك[١].

ويذكر المقريزي أن السنة الزراعية في مصر قد انقسمت إلى قسمين هما فصلا الزراعة الشتوية والصيفية، ومن المحاصيل الزراعية الشتوية: القمح، الشعير، الفول، العدس، الحمص، الجلبان، الكتان[٢]، القرط(البرسيم)، البصل، الثوم، الترمس[٣].

ومن المحاصيل الصيفية: البطيخ، اللوبيا، السمسم القطن، قصب السكر[٤]، القلقاس، الباذنجان، التيلة، الفجل الخس، الكرنب، الكرم، التين، التفاح، التوت[٥].

والأشهر الزراعية عند المصريين والتي مازالت مستعملة حتى اليوم هي: [٦]

١- توت (ويبدأ من ١١ سبتمبر إلى ١٠ أكتوبر)

٢- بابه (ويبدأ من ١١ أكتوبر إلى ٩ نوفمبر)

٣- هاتور (ويبدأ من ١٠ نوفمبر إلى ٩ ديسمبر)

٤- كيهك (ويبدأ من ١٠ ديسمبر إلى ٨ يناير)

٥- طوبة (ويبدأ من ٩ يناير إلى ٧ فبراير)

٦- أمشير (ويبدأ من ٨ فبراير إلى ٩ مارس)

٧- برمهات (ويبدأ من ١٠ مارس إلى ٨ ابريل)

٨- برمودة (ويبدأ من ٩ ابريل إلى ٨ مايو)

٩- بشنس (ويبدأ من ٩ مايو إلى ٧يونيو)

١٠- بؤونة (ويبدأ من ٨ يونيو إلى ٧ يوليو)

---

(١)د. محمود الحويري: مصر في العصور الوسطى- الأوضاع السياسية والحضاريةص٢٨٨ دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية طبعة ٢٠٠٣م.

(٢)المقريزي: الخطط ج١/ص١٠١.

(٣)المصدر السابق: ص١٠٢.

(٤)المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق ص١٠٣.

(٦)وليم نظير: الثروة النباتية ص٣٨ – ٤١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١١- أبيب (ويبدأ من ٨ يوليو إلى ٦ أغسطس)

١٢- مسري (ويبدأ من ٧ أغسطس إلى ٥ سبتمبر)

بعض المزروعات في مصر

ساعدت الطبيعة في مصر على تنوع المحاصيل الزراعية فيها مابين صيفية وشتوية، وكثرت المحاصيل الراعية بمصر وتنوعت من مدينة لأخرى.

وقد أولى الفلاحون جل عنايتهم للمحاصيل الزراعية التي يعتمد عليها السكان في غذائهم ثم زراعة أنواع مختلفة من الفواكه، والاهتمام ببعض المحاصيل التي لها دور في الصناعة.

أ- المزروعات الغذائية :

*** القمح :**

يعتبر القمح من المحاصيل الرئيسية في العالم ويحتل المكان الأول بين محاصيل الحبوب التي استخدمها الإنسان غذاء له لتفوقه في القيمة الغذائية(١)، وكانت زراعته في مصر تشغل الجزء الأكبر من الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة الشتوية(٢)، ويزرع القمح من نصف شهر بابه إلى أخرها وربما أمتد في بعض الأراضي إلى كيهك، ومقدار ما يحتاج إليه الفدان الواحد من بذر القمح يختار بحسب قوة الأرض وضعفها، وتبلغ كمية البذور المستخدمة من أردب إلى خمس ويبات، وأربع ويبات، ويوجد في الصعيد أراض تحتمل دون هذا، إذ يكفي الفدان نحو ويبتين(٣).

ويدرك الزرع في شهر بشنس ويختلف ما يخرج من فدان القمح بحسب الأراضي فينتج من أردب إلى عشرين أردبا(٤).

ويزرع القمح في كل أنحاء الدلتا والوجه القبلي الذي كان منه معظم متحصل الديوان من الغله ومبلغه نحو مليون أردب في السنة، وقد اختصت بعض

---

(١)وليم نظير:الثروة النباتية ص٧٣.

(٢)راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص٦٧.

(٣)المقريزي: الخطط ج١/ص١٠١.

(٤)المصدر السابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجهـــات بـــأنواع ممتازة من القمح مثل سخا والفيوم[١]، ومنفلوط التي وصفها ابن جبير بقوله: "هي بلدة في نهاية من الطيب ليس في الصعيد مثلها وقمحها يجلب إلى مصر لطيبه ورزانة حبته، والتجار يصعدون إلى المراكب لاستجلابه[٢].

وقد وصف المقدسي مصر وخيراتها وكثرة القمح بها فقال: " مصر إقليم كرر الله في القـــرآن ذكره وأظهر للخلق فضله، مصر قبة السلام، ونهره أجل الأنهار وبخيراته تعمر الحجاز، وبأهله يبهج موسم الحج وبره يعم الشرق والغرب[٣]، ويعتبر القمح الغلة الرئيسية الأولى في مصر التي كانت ترسل منه كميات كبيرة إلى بلاد الحجاز لمساعدة أهلها، ولم تكـــتف مصـــر بإرســـال القمح وإنما كانت ترسل الدقيق والكعك ففي مشتول كانت توجد الطواحيـــن الكثـــيرة التـــي يحمل منها أكثر ميرة الحجاز من الدقيق والكعك وقد أحصى المقدســـي ذلـــك في وقت من أوقات السنة فإذا هو يبلغ ثلاثة آلاف حمل جمل كل أسبوع كلها حبوب قمح ودقيق[٤].

- **الشعير :**

يـــزرع الشـــعير فـــي الأرض التي شربت الماء الكثير وهي رطبة، وتتقدم زراعته على زراعـــة القمح بأيام وكذلك حصاده، فإنه يحصد قبل القمح ويحتاج الفدان منه أن يبذر فيه بحسب الأرض ويكون إدراكه في برمودة[٥]، وكانت زراعته منتشرة في جميع البلاد من أسوان جنوبا حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا[٦].

- **البقول :**

اشـــتهرت مصـــر بـــزراعة الـــبقول مـــنذ أقـــدم العصـــور، وكانـــت بعـــض أنـــواع البقول وبخاصة الفول والعدس تدخل ضمن طعام الفلاحين، والعمال اليومي، وأهم البقول

---

(١) د . راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص٦٧.

(٢) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠١.

(٣) ابن جبير: الرحلة ص٣٥.

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١٩٥ ط٢ ليدن ١٩٠٩م.

(٥) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠١.

(٦) الحميري: الروض المعطار ص٤٤٥، د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٦٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التي عرفها المصريون الفول والعدس والحمص والترمس[١].

ويــزرع الفــول في الحرث من أول شهر بابه، ويؤكل وهو أخضر في شهر كيهك. ويحتاج الفدان من البذر منه إلى ثلاث ويبات ويدرك في برمودة وينتج الفدان منه ما بين عشــرين أردبــا إلى ما دون ذلك[٢]، ويذكر عبد اللطيف البغدادي أن الفول يتوصل نحو ستة أشهر[٣].

ويزرع العدس والحمص من هاتور إلى كيهك، ويبذر في كل فدان من الحمص أردب إلى ثمان ويبات، ومن العدس من ويبتين إلى ما دونهما وتدرك هذه الأصناف في برمودة. ويتحصــل من فدان الحمص من أربعة أرادب إلى عشرة، والعدس من عشرين أردبا فما دونهما[٤].

ويــزرع الترمس في طوبة وزريعته لكل فدان أردب ويدركه الفلاحون في برمودة. وينــتج الفــدان ما بين عشرين أردبا إلى ما دونهم[٥]وتزرع البقول في أماكن كثيرة من مصر ومنها قفط وقوص[٦]، وأسوان[٧].

- **البصل والثوم :**

يــزرع البصــل والــثوم من شهر هاتور إلى نصف كيهك ويبذر في فدان البصل من نصــف ويبة إلى ويبة، والثوم من مائة حزمة إلى مائة وخمسين حزمة ويدرك في شهر

١- ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ص٨٢.

٢- المقريزي: الخطط ج١/ص١٠١.

٣- عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٣٤.

٤- المقريزي: الخطط ج/ص١٠١.

٥-المصدر السابق ص١٠٢.

٦-الإدريسي: نزهة المشتاق١/ص١٣١، العمري: مسالك الأبصار ص١٤٧، الحميري: الروض المعطار ص٤٧٢، ٤٨٤.

٧-الحميري: الروض المعطار ص٥٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

برمودة[١] ويزرع البصل والثوم في كثير من قرى مصر منها قرية منية الفيران[٢] وقرية الشاميين بالقرب من شنوان[٣].

ب- مزروعات غذائية أخرى :

ذكر المقريزي بعض المزروعات الغذائية الأخرى التي يعتمد المصريون عليها في غذائهم مثل اللوبيا فأنها تزرع من نصف برمهات إلى نصف شهر برمودة، وتدرك في بشنس[٤].

ويذكر البغدادي أن اللوبيا حب مستدير أبيض هش يضرب إلى الحلاوة، وفيه قبض ولعابية كثيرة، يطبخ أهل مصر به اللحم بأن يقطع مع قشاره صغارا، ويكون طعاما لا بأس به[٥].

ويزرع السمسم في برمودة، وزريعته ربع ويبة للفدان ويدرك في أبيب ومسري، وينتج الفدان ما بين أردب إلى ستة أرادب[٦]، ويزرع في قرية صحرشت الصغرى[٧] . ومن ذلك القلقاس[٨] الذي يدرك في هاتور[٩] ، ويزرع المصريون الملوخية ويسميها الأطباء الملوكية ويطبخ بها اللحم[١٠] .

ويزرع الباذنجان في برمهات وبرمودة وبشنس وبؤونة ويدرك في بؤونة إلى مسرى ويزرع الفجل طوال السنة وزريعة الفدان من قدح واحد إلى قدحين، ويزرع اللفت في أبيب ويدرك بعد أربعين يوما، ويزرع الخس في طوبة شتلا ويؤكل بعد شهرين، ويرى

---

(١) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٢

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ ص٣٣٤.

(٣) المصدر السابق ص٣٣١.

(٤) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٢.

(٥) البغدادي: الإفادة والاعتبار س١٩.

(٦) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٢.

(٧) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص٣٣٣

(٨) البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٢٥.

(٩) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٣.

(١٠) البغدادي: الإفادة والاعتبار ص١٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقدســـي أن مدينة فقط يزرع بها اللفت والخس[١]، ويزرع الكرنب في شهر توت شتلا ويدرك في هاتور[٢] ، ويزرع الأرز في إقليم الفيوم[٣] والجزء الشمالي من مصر السفلى الواقع بين البحيرات التي تحيط بساحلها وبين خط مستقيم يقتسم الدلتا من الرحمانية على الفرع الغربي للنيل حتى المنصورة على الفرع الشرقي لهذا النهر[٤] .

ج- الفاكهة:

اشـــتهرت مصر بأنواع كثيرة من الفاكهة سواء ما اختصت به البلاد الحارة أو الباردة، ومن أهم أصنافها : التمر، العنب، التين، التوت، الخوخ، البرقوق، النبق، الرمان، الكمثرى، البطيخ، السفرجل[٥] .

ولقـــد كـــان شجر النخيل مغروسا في مختلف أنحاء البلاد وكانت أغلب القرى تحيط بها أشجار النخيل، ومنها يحصل القرويون على فاكهة رخيصة لذيذة الطعم، ويوجد في أخميم وأسوان وإقليم الشرقية والجهات الشمالية من الدلتا[٦] .

ويروي الرحالة ابن جبير أن البلينة قرية حسنة كثيرة النخل، وتقع بالشط الغربي من النيل وكذلك دندرة تعرف بالرطب الطيب[٧] .

وفي مدينة الفرما أول مصر من جهة الشمال كما يقول صاحب الروض المعطار يوجد تمر عجيب وجميل[٨] ، ويذكر المقريزي أن إسنا يكثر بها التمر وقد حصل في سنة منها أربعون ألف أردب تمر[٩] .

---

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص١٢٨.
(٢) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٣.
(٣) الحميري: الروض المعطار ص٤٤٥، الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/٣٢٧.
(٤) جيرار: وصف مصر ص٥٣.
(٥) العمري:مسالك الأبصار ص٨٢،ناصر خسرو: سفرنامه ١٠٣،ابن سعيد:النجوم الزاهرة ص٣١.
(٦) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص٧١.
(٧) ابن جبير الرحلة ص٤٠
(٨) الحميري: الروض المعطار ص٤٣٩.
(٩) المقريزي: الخطط ج١/ص٢٣٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويوجد التمر والنخيل في كل من الواحات الداخلة[١] ، والقيس، ومدينة الأشموني[٢] والمراغة وصول[٣] والفسطاط[٤] .

وانتشر العنب في نواحي كورة مريوط والجيزة[٥] ، والإسكندرية جيدة الفواكه والأعناب[٦] وأسوان، وأخميم[٧] ،وقمولا[٨] .

ويذكر الإدريسي أن اسنا بها أعناب كثيرة منها الزبيب ويحمل إلى جميع أرض مصر[٩] ، ويوجد العنب بمنية ابن الخصيب[١٠] .

أما الحمضيات فيرى البغدادي أنه يوجد بأرض مصر منها أصناف كثيرة لم يرها في العراق من ذلك أترج(البرتقال)كبار يعز وجود مثله ببغداد، ومن ذلك أترج حلو ليس فيه حماض ومن ذلك الليمون المختم وهو شديد الحمرة من النارنج وليمون البلسم وهو في قدر الإبهام، وكالبيضة المطاولة، وفيه ما هو مخروط صحيح يبتدئ من قاعدة وينتهي إلى نقطة وأما لونه ورائحته وعصيره وحماضه فمثل الأترج أي البرتقال[١١] .

---

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص١٢٢

(٢) المصدر السابق ص١٢٤

(٣) المصدر السابق ص١٢٥

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٩٧

(٥) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٧١

(٦) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٩٧

(٧) المصدر السابق ص٢٠١

(٨) الحميري: الروض المعطار ص٤٧٣

(٩) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص١٢٩

(١٠) الحميري: الروض المعطار ص٥٤٨

(١١) البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٣٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكـــان من جملة أصناف الليمون بمصر ليمون يقال له التفاحي يؤكل بغير سكر لقلة حموضته ولذة طعمه، وكان فيها ما يسمى بالليمون الشتوي والليمون السائل[١].

وتقلـــم أشجار الفاكهة في طوبة وأمشير إلا السدر وهو شجر النبق فإنه يقلم في برمودة[٢]، ويذكر البغدادي أنه يزرع بكثرة في مصر ويتميز بثمره الشديدة الحلاوة[٣].

ويذكر المقريزي أن الموز الشتوي يزرع في طوبة والصيفي في أمشير[٤].

وبدمياط وما يليها توجد أشجار الموز بكثرة ومنه تستمد مصر والقاهرة الكثير[٥]، وقد ذكر المقدسي أنه حين زار الفسطاط وجد أن الموز رخيص بها[٦]، واشتهرت أسيوط والفـــيوم بالسفرجل[٧] والبطيخ يزرع بمصر من نصف شهر برمهات إلى نصف برمودة ويدرك في شهر بشنس[٨].

ويـــزرع في أسوان[٩]، ويوجد بمصر بطيخ يسمى العبدلي، والعبدولاوي قيل أنه نســـب إلـــى عبد الله بن طاهر والي مصر عن المأمون وأما المزارعون فيسمونه البطيخ

---

(١) أدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج٢/ص٢٢٥

(٢) المقريزي: الخطط ج١/ ص١٠٣

(٣) البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٣٤

(٤) المقريزي: الخطط ج١/ ص١٠٣

(٥) العمري: مسالك الأبصار ص١٥٨

(٦) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٩٧

(٧) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٧٢

(٨) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٢

(٩) الحميري: الروض المعطار ص٥٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدميري منسوب إلى دميرة[١] وقد وصفه المقدسي بأنه بطيخ نادر[٢]، وجميع أصناف البطيخ بها يباع بالميزان[٣] .

د- بعض المزروعات الطبية :

تحتوي المزروعات الطبية على مواد مؤثرة ذات قيمة علاجية، وكانت النباتات الطبية تنمو في وادي النيل، وقد عرف المصريون خواصها، وأدركوا مزاياها، وفوائد الكثير منها[٤] ، وكان صناعها يسمون بالشرابيين، وكان المحتسب يتولى الإشراف عليهم ويأمر ألا تعقد الأشربة، وتركب الأدوية من هذه النباتات إلا من اشتهرت معرفته وظهرت خبرته وكثرت تجربته، وشاهد تجريب العقاقير ومقاديرها من أربابها وأهل الخبرة بها[٥]، ومن هذه النباتات:

البلسان:

نبات يزرع ببقعة مخصوصة من أرض المطرية بضواحي القاهرة بالقرب من عين شمس[٦] في موضع محاط عليه محتفظ به مساحته نحو سبعة أفدنة، وارتفاع شجرته نحو ذراع وأكثر من ذلك، وعليها قشران الأعلى أحمر خفيف، والأسفل أخضر ثخين ورائحته طيبة في جميع أجزائه[٧] ، والبئر التي يسقى منها تسمى بئر البلسم، وماؤها عذب، ويباع في مكانه بضعفه فضة[٨] .

---

(١) البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٣٣

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٩٦

(٣) البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٣٤

(٤) وليم نظير: الثروة النباتية ص٢١٣

(٥) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص٥٦

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى ج٣/ص٢٨٦

(٧) البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٢٣

(٨) المصدر السابق ص٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويستخرج منه دهن البلسان[١] ، ويربى قشره قبل استخراج دهنه فيكون نافعا من جميع السموم[٢] ، والبلسان من العقاقير الطبية الشرقية التي نالت شهرة عظيمة في العصور الوسطى في الشرق والغرب على السواء[٣] ، ويعرف النوع الجيد في مصر باسم بلسم مكة لأن شتلاته منها[٤] .

الخيار شنبر:

يقول البغدادي: يكثر بمصر شجر الخيار شنبر وهو شجر ضخم شبيه بشجر الخروب الشامي وزهره كبير أصفر [٥] ويحول في برمهات[٦] ، فإذا عقد تدلى ثمره كالمقارع الخضر[٧] .

ويستخدم لب ثماره كملين خفيف وشراب مرطب[٨] ، ويعتبر الخيار شنبر سلعة عقاقيرية اقتصر استعمالها في الشرق، وقد أتيح لتجار الغرب المارين بالإسكندرية أن يروا هذا النبات مزروعا في حدائق الإسكندرية، وحول المدينة، وهو نبات غريب عنهم وتستعمل الأجزاء العليا من ساقه حتى البراعم، وتدخل في صناعة العقاقير الطبية، وتباع في أسواق القاهرة والإسكندرية ودمياط كما توجد زراعته في جميع أراضي مصر[٩] .

---

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص٣٢٦، ابن فضل الله العمري مسالك الأبصار ص٨٠.

(٢) البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٢٥

(٣) د. نعيم زكي فهمي: طرق التجارة ومحطاتها الدولية ص٢٠٦

(٤) المصدر السابق ص٢١١

(٥) البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٣٤

(٦) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٣

(٧) البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٣٤

(٨) وليم نظير : الثروة النباتية ص٢٣٠

(٩) د. نعيم زكي: طرق التجارة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المن:

وهـو من السلع التي تستخدم في صناعة العقاقير الطبية وكثر الطلب عليها في الشرق والغـرب[١] ، والمـن وهـو مادة كربوأيدراتية تتخذ من النباتات الدنيئة التي تنمو على الصـخور وجذوع الأشجار تجف وتتطاير ويتخلف عنها هذه المادة[٢] ، وتوجد مادة المن في شبه جزيرة سيناء، حيث يجمعه الأهالي ويصدرونه للقاهرة والإسكندرية وأوربا[٣] كما توجد في شجر الأثل.

وقـد ألـح صـيادلة وأطباء الغرب الأوربي في طلب المن العربي، وفي فترة انقطاع الصلة مع العرب كان الغرب يحصل على حاجته منه من جزيرة صقلية[٤] .

هـ - مزروعات لها دور في الصناعة:

أهتم سكان مصر منذ القدم بزراعة النباتات والأشجار التي استفادوا منها في الصناعة لـرفع مسـتوى معيشتهم ومن هذه المزروعات: القطن- الكتان- قصب السكر- النيلة- القرظ.

***القطن:**

١- يقول المقريزي: "يزرع القطن في برمودة وزريعته أربع ويبات للفدان ويدرك في تـوت فـيخرج من الفدان ثمانية قناطير"[٥] وكانت تزرع منه مقادير صغيرة في الجهات التي يتوافر فيها الري الدائم كالفيوم وعلى جوانب النهر[٦] .

*** الكتان:**

يعتـبر الكتان من أقدم النباتات التي كانت تزرع في مصر منذ عصر المصريين القدمـاء، وهم أول من زرعوا الكتان، وغزلوه، واستخدموا أليافه في صناعة المنسوجات

---

(١) المصدر السابق ص٢١٥

(٢) د. مصطفى كامل: علوم الزراعة في القرآن الكريم ص٦٩

(٣) د. نعيم زكي: طرق التجارة ومحطاتها الدولية ص٢١٦

(٤) المرجع السابق

(٥) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٢

(٦) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٧٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد لقيت زراعته وإعداده اهتماما خاصا، فكانت بذوره تزرع في الأرض بعد هبوط النيل عقب موسم الفيضان، ويترك النبات ينمو حتى يتم نضجه[١] .

ويذكر المقريزي أنه يقلع قضبانا وينشر في موضعه حتى يجف فإذا جف حمل، ودرس وعزل جوزه فيخرج منه بذر الكتان ويستخرج من الزيت الحار، ويزرع في شهر هاتور ويحتاج الفدان أن يبذر فيه البذر ما بين أردب وثلاث إلى ما دون ذلك، ويدرك في شهر برمودة، ويخرج من الفدان ما بين ثلاثين شدة إلى ما دون ذلك، ومن البذر من سنة أرادب إلى ما دونها[٢] .

ويزرع الكتان في قرية حانوت فيقول الإدريسي: "قرية حانوت قرية ذات مياه جارية وعمارات وهي برسم زراعة الكتان وهو غلتها وعليه يعول أهلها، ونبات الكتان يجود فيها[٣] وفي مدينة سنباط وكل مزارعها كتان[٤] ، وفي بوصير قريدس الكتان الرفيع[٥] ويزرع الكتان بأرض الصعيد ودلاص[٦] وفي الفيوم يزرع نوع من الكتان أقل من المستوى كما يقول المقدسي[٧] .

***قصب السكر**

توسع المصريون في زراعة هذا المحصول كثيرا في العصر المملوكي نظرا لشدة الطلب على السكر والحلوى بسبب سياسة الحكومة في الحفلات الكثيرة[٨] .

ويذكر المقريزي أن قصب السكر يزرع من نصف برمهات ويحتاج إلىأرض جيدة قد شملها الري وعلاها ماء النيل ونظفت وحرثت، ويكسر القصب في شهر كيهك[٩]ويزرع

---

(١) وليم نظير: الثروة النباتية ص١٠٢

(٢) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٣

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص٣٣٤

(٤) المصدر السابق ص٣٣٥

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم ط٢ ليدن ١٩٠٩م ص٢٠٣

(٦) المصدر السابق، أدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج٢/ص٢٥٨

(٧) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٢

(٨) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٧٩

(٩) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القصب في قرية الشاميين بالقرب من شنوان[١] ، والواحات الداخلة[٢] ، ومدينة القيس[٣] ، ومنية ابن الخصيب[٤] ، وطحا والمراغة[٥] وأخميم والبلينا[٦]، وسمسطا[٧] وملوى وكان بها عدة أحجار لاعتصاره[٨] .

* **النيلة :**

زرعت أشجار النيلة البرية في مصر منذ زمن بعيد، ومن أوراق شجرها تستخلص صبغة زرقاء تستخدم في صناعة المنسوجات[٩].

يقول المقريزي:" تزرع النيلة من بشنس والزريعة للفدان ويبة ويدرك من أبيب"[١٠] ، وكانت زراعتها مكلفة بحيث لا يقوم على زراعتها إلا ملاك ميسورون أو فلاحون يتعاونون معا في زراعتها ويبدو أن المناطق المدارية من الصعيد هي أكثر المناطق صلاحية لزراعة هذا النبات حيث يزرع فيها أكثر مما يزرع في المناطق الأخرى[١١] ، وتعتبر النيلة من غلات الواحات أيضا[١٢] .

* **شجر السنط (القرظ) :**

يقول البغدادي: تسمى هذه الشجرة بالشوكة المصرية، وورقها هو القرظ، وتدبغ به الجلود، والسنط شجر ضخم له شوك كثير صلب أبيض، وله ثمر يسمى ضروب القرظ

---

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص٣٣١

(٢) المصدر السابق ص١٢٢

(٣) الحميري: الروض المعطار ص٤٨٨

(٤) المصدر السابق ص٥٤٨

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/١٢٥

(٦) المصدر السابق ص١٢٦

(٧) المصدر السابق ص١٠٣

(٨) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٣

(٩) وليم نظير: الثروة النباتية ص٩٨

(١٠) المقريزي: الخطط ج١/ ص١٠٣

(١١) جيرار: وصف مصر ص٩٠

(١٢) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص١٢٢- الحميري: الروض المعطار ص١٧٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

*الثروة الحيوانية :

كان الفلاحون في مصر شديدي العناية بتربية الماشية والحمير والإبل للمساعدة في الحرث ورفع المياه من النيل، ونقل الغلات والسباخ وما إلى ذلك من مختلف أعمال الزراعة[١]، ويستخدم الفلاحون البقر في عملية رفع المياه ودرس الحبوب في الجزء العلوي من الصعيد لأن الحرارة هناك تكون أشد مما ينبغي بالنسبة لتربية الجاموس[٢] وقد وصفها البغدادي بقوله: "وأما أبقارهم فعظيمة الخلق حسنة الصور، ومنها صنف هو أحسنها وأغلاها قيمة يسمى البقر الخيسية، وهي ذوات قرون كأنها القسى غزيرات اللبن[٣] ، وكان غذاء الأبقار البرسيم والجلبان.

أما قطعان الجاموس[٤] فتوجد في مصر العليا، وتربى من أجل الألبان التي توفرها وهي تتغذى على نفس ما تعيش عليه الأبقار[٥] .

وإلى جانب الأبقار اللازمة لاستغلال الأراضي يمتلك المزارعون الأغنام والماعز[٦] التي توفر قدرا من الألبان التي تستهلكها القرى[٧] ، وتوجد الأغنام بالواحات[٨] والصعيد والفيوم[٩] .

أما الجمال فكانت تستخدم في نقل الحاصلات الزراعية من الحقول إلى الأجران والأسواق وحمل المتاجر من الفسطاط إلى القلزم وما بعدها ومن قوص وأسوان إلى موانى ساحل البحر الأحمر وبخاصة عيذاب مما أدى إلى ازدياد أهمية هذا الحيوان[١٠] .

---

(١) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٧٥

(٢) جيرار: وصف مصر ص١٠٤

(٣) البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٣٨

(٤) العمري: مسالك الأبصار ص٨٣

(٥) جيرار: وصف مصر ص١٠٥

(٦) العمري: مسالك الأبصار ص١٠٦

(٧) جيرار: وصف مصر ص١٠٦

(٨) المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٠١، الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص١٢٢

(٩) جيرار: وصف مصر ص١٠٧.

(١٠) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٧٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

*الجلبان :

يبيـــن المقريزي أن الجلبان لا يزرع إلا في أرق الأراضي حرثا عن الأراضي العالية ويـــدرك فـــي شهر برمودة، ويتحصل من إنتاجه من عشرة أرادب إلى ما دونها[١] ، وقد ذكره المقدسي ضمن ما تزرعه مصر[٢] .

والجلـــبان نـــوع من العلف الذي يستخدم للماشية ويزرع في الصعيد والفيوم لملائمة التربة والمناخ له[٣] .

ومـــن الواضـــح أن محصول الأرض الزراعية في مصر زمن المماليك قد ازداد نتيجة لاهـــتمامهم بمـــرافق الـــزراعة من جسور وترع ومقاييس للنيل وغيرها وقد بلغ اهتمام ســـلاطين الممالـــيك بالجسور حدا كبيرا لدرجة أنهم كانوا يرسلون كل عام مجموعة من الأمـــراء إلى مختلف الأعمال لعمارة الجسور ويعرف الأمير منهم باسم "كاشف الجسور" كمـــا عرف عن بعض سلاطين المماليك أنهم كانوا يخرجون بأنفسهم لتفقد أحوال مرافق الـــزراعة وبخاصة الجسور حيث يذكر المقريزي في حوادث سنة ٧٣٧هـــ أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ما كاد يسمع بتشريق بعض الجهات قرب شبين حتى سار بنفسه فـــي هذا العام ومعه بعض المهندسين لكشف تلك النواحي وأمر ببناء جسر يمتد من شبين إلـــى بنها وجمع له أثنى عشر ألف رجل ليعملوا على إنجازه ثم أقام به عدة قناطر وبذلك أمكن وصول المياه إلى الأراضي المرتفعة بتلك الناحية[٤] .

وما دمنا نتحدث عن الزراعة فلابد أن نعرض الثروة الحيوانية ونبين أهميتها للفلاح.

---

(١) المقريزي: الخطط ج١/ص١٠١

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٠٣

(٣) جيرار: وصف مصر ص٧٤، وليم نظير: الثروة النباتية ص٩١، د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٦٨

(٤) المقريزي: الخطط ج٢ ص١٦٩- ١٧٠هـــ /د. سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام ص٢٨٦- دار النهضة العربية ط٢/١٩٧٦م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

*الثروة الحيوانية :

كـــان الفلاحـــون في مصر شديدي العناية بتربية الماشية والحمير والإبل للمساعدة في الحـــرث ورفـــع المـــياه من النيل، ونقل الغلات والسباخ وما إلى ذلك من مختلف أعمال الـــزراعة[١]، ويســـتخدم الفلاحـــون البقر في عملية رفع المياه ودرس الحبوب في الجزء العلوي من الصعيد لأن الحرارة هناك تكون أشد مما ينبغي بالنسبة لتربية الجاموس[٢] وقد وصـــفها الـــبغدادي بقوله: "وأما أبقارهم فعظيمة الخلق حسنة الصور، ومنها صنف هو أحســـنها وأغلاهـــا قـــيمة يسمى البقر الخيسية، وهي ذوات قرون كأنها القسى غزيرات اللبن[٣] ، وكان غذاء الأبقار البرسيم والجلبان.

أمـــا قطعـــان الجاموس[٤] فتوجد في مصر العليا، وتربى من أجل الألبان التي توفرها وهي تتغذى على نفس ما تعيش عليه الأبقار[٥] .

وإلـــى جانب الأبقار اللازمة لاستغلال الأراضي يمتلك المزارعون الأغنام والماعز[٦] التي توفر قدرا من الألبان التي تستهلكها القرى[٧] ، وتوجد الأغنام بالواحات[٨] والصعيد والفيوم[٩] .

أمـــا الجمـــال فكانـــت تستخدم في نقل الحاصلات الزراعية من الحقول إلى الأجران والأســـواق وحمـــل المـــتاجر من الفسطاط إلى القلزم وما بعدها ومن قوص وأسوان إلى موانى ساحل البحر الأحمر وبخاصة عيذاب مما أدى إلى ازدياد أهمية هذا الحيوان[١٠] .

---

(١) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٧٥

(٢) جيرار: وصف مصر ص١٠٤

(٣) البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٣٨

(٤) العمري: مسالك الأبصار ص٨٣

(٥) جيرار: وصف مصر ص١٠٥

(٦) العمري: مسالك الأبصار ص١٠٦

(٧) جيرار: وصف مصر ص١٠٦

(٨) المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٠١، الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص١٢٢

(٩) جيرار: وصف مصر ص١٠٧ .

(١٠) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٧٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والحمـــار من الحيوانات التي لا يستغنى عنها أي فلاح مصري لصبره وقوة احتماله، وهـــو يســـتخدمها في نقل بعض المواد الغذائية، ويركبها لقضاء بعض أعماله، ويبدو أن اهـــتمام المصـــريين بها كان كبيرا إذ يذكر ناصر خسرو أنه رأى كثيرا من الحمر البلق كالخيل؛ بل أجمل، وأن أهل السوق وأصحاب الدكاكين يركبون هذه الحمير المسرجة في ذهابهم وإيابهم من البيوت إلى السوق، وفي كل حي على رأس الشوارع حمر كثيرة عليها برادع مزينة يركبها من يريد نظير أجر زهيد، ويقدر عددها بخمسين ألف بهيمة مسرجة تزيـــن كـــل يـــوم وتكـــرى[١] ، ويصف البغدادي الحمير كذلك بأنها فارهة جدا وتركب بالسروج وهي كثيرة العدد، ويبلغ ثمن الواحد منها عشرين دينارا إلى أربعين[٢] .

وتوجد الخيول بمصر[٣] ، ويبدو أن المصريين يقدرونها لحد لا يسمح لهم باستخدامها في أعمال الزراعة، وقد جرت العادة على قياس قوة الرجل ومدى نفوذه بعدد الخيول التي يمتلكها[٤] .

ويذكـــر الـــبغدادي أن خيل مصر عتاق سابقة فيها ما يبلغ ثمنه ألف دينار إلى أربعة آلاف[٥] .

وقد صارت الأغنام جزءا مهما من ثروات السلاطين والأمراء منذ رمن الناصر محمد بن قـــلاوون وقـــد عرف أنه كان يفضل أغنام الصعيد لطيب لحمها ومرعاها وكثرة توالدها وبنى حوشا بالقلعة سنة ٧٣٨هـــ /١٣٣٧م وأودع بها ألفي رأس من الصعيد وصار يتبع مراعي الأغنام في عيذاب وقوص وبلاد النوبة ويجلب الأنواع الممتازة منها[٦] .

والحقـــيقة أن ســـلاطين المماليك قد اهتموا بالثروة الحيوانية وعملوا على تحسين سلالتها وجلب الأنواع الممتازة لتربيتها والإكثار منها ولذا أنشأت السلطنة

---

(١) المصدر السابق ص١٠٥

(٢) البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٣٨.

(٣) العمري: مسالك الأبصار ص٨٣

(٤) جبرار: وصف مصر ص١٠٨

(٥) البغدادي: الإفادة والاعتبارص٣٨

(٦) د. محمود الحويري: مصر في العصور الوسطى ص٢٨٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مجموعة من الإسطبلات تركز القسم الأعظم منها إلى الشمال من مدينة القاهرة في بقعــة بلغت أطوالها ٣٥٠,٥مترا من الشرق إلى الغرب و٤٠٠م من الشمال إلى الجنوب وفي الجيزة واوسيم وسرياقوس للشمال من القاهرة أيضا وانقسمت الإسطبلات السلطانية إلــى إســطبل للخــاص وفيه مراكب الخاص الشريف وإسطبل الحجور الشريفة لاختيار الخــيول للعــب الأكــره وإســطبل الجوق وفيه خيول الخرج للمماليك الكتابية وإسطبل البيمارستان يرسم الخيول الضعيفة والمصابة وإسطبل لخيول البريد وإسطبل للبغال وآخر للجمــال البخاتــي وإســطبل للهجن والنياق وبلغ عليف دواب الإسطبلات السلطانية من السلطان برقوق ١٠,٠٠٠ اردب في كل شهر[١] .

ومــع اهــتمام الممالــيك بتربية المواشي والحيوانات المختلفة فإنه يمكن القول أن الفلاحين قد اقتصر اهتمامهم على تربية حيوانات العمل كالأبقار والحمير وبعض الأغنام لتوفير الحاجات المنزلية من الألبان والأجبان.

مصادر الري في مصر

يعتــبر نهــر النيل المصدر الأساسي لمياه الري في مصر وقد استخدمت مصر مياه النيل في الزراعة وكانت تتبع نظام ري الحياض الذي استمر منذ فجر التاريخ، وهو نظــام كان يتفق مع أحوال النهر ويلاءم مناخ البلاد، ولو أن الفيضان كان مبكرا أو جاء مــتأخرا لمــا كــان مــن السهل تطبيق هذا النظام ولما ناسب زراعة الغلات الشتوية أو الصيفية[٢] .

والحقيقة أن انتظام ورود ماء الفيضان جعل في الإمكان ري الأراضي في مصر وكان أثره عظيما بالنسبة لرخاء البلاد[٣]

وقــد عرف المصريون قيمته وأدركوا أهميته وأثره في حياتهم فعلى وفائه وفيضه تــتوقف حياة البلاد من الخصب والنماء وإذا أجدب تصاب بالجدب والقحط والجفاف[٤] ،

---

(١) الإسحاقي: لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدولص١٣٣- مصر ١٣١٠هـ المطبعة اليمنية

(٢) وليم نظير: الثروة النباتية ص١٣

(٣) د . راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٦٣

(٤) وليم نظير: الثروة النباتية ص١٩

وكما يقول المقريزي: "لولا ما جعل الله في نيل مصر من حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل ري البلاد، وهبوط الماء عنها عند بدء الزراعة لفسد إقليم مصر، وتعذر سكناه لأنه ليس فيه أمطار كافية ولا عيون جارية تعم أرضه إلا بعض إقليم الفيوم[١] .

فيضان النيل وأثره في الزراعة :

قال المقريزي: "ويحصل لأهل مصر بوفاء النيل ستة عشرة ذراعا، فرح عظيم فإن ذلك كان قانون الري في القديم واستمر ذلك إلى يومنا هذا"[٢] .

ويبدو أن حد الوفاء للنيل كان ستة عشرة ذراعا فإذا قل عن ذلك جاء القحط والجدب، وقد راعى المصريون ذلك، ولاهتمامهم بهذا الفيضان يروي ابن إياس عن ابن عبد الحكم أنهم قبل الإسلام كانوا يلقون فتاة جميلة في النيل أملا في زيادته وفيضانه، فلما فتح عمرو بن العاص مصر في عهد عمر بن الخطاب حضر إليه جماعة من الأقباط وقالوا له : أيها الأمير إن لنيلنا في كل سنة عادة لا يجري إلا بها فقال لهم: ما هي؟ قالوا: إذا كان اثنتا عشرة ليلة تخلو من بؤونه من الشهور القبطية عمدنا إلى جارية بكر وأخذناها من أبويها وجعلنا عليها الحلي والحلل ثم نلقيها في بحر النيل حتى يفيض، فلما سمع عمرو بن العاص ذلك قال: هذا لا يكون في الإسلام أبدا، ولما لم يجر النيل في تلك الفترة، كتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بهذه القصة، فلما وصل كتاب عمر إلى الخليفة وعلم ما فيه كتب بطاقة وأرسلها إلى عمرو بن العاص وأمره أن يلقيها في النيل وقد كتب فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب إلى نيل مصر، وأما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر،

وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك" وألقى عمرو البطاقة في النيل فأجراه الله في تلك الليلة ستة عشرة ذراعا[٣] وقضى المسلمون على هذه السنة السيئة التي كانت سائدة في مصر قبل الإسلام.

---

(١) المقريزي: الخطط ج١/ ص٥٧-٥٨

(٢) المصدر السابق ص٦١

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ج١/ق١/ص١١١،المقريزي:الخطط ج١/ص٥٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولقد كانت الزراعة قاصرة على شريط ضيق من الأرض ممتد على جانبي النيل والترع التي تخرج منه ومن فروعه فإذا جاء ماء الفيضان غمر الأراضي وظل فوق سطحها مدة كافية من الزمن حتى تتشبع الأرض بالماء وحتى يتيسر رسوب الطمي الذي يكسبها الخصب ويعطيها قوة الإنماء وإذا تم هذا كله أخذ الفلاحون في صرف الماء تدريجيا عن الأراضي وإرجاعها مرة ثانية إلى النهر، وبعد الانتهاء من هذه العملية كانوا يتركون المحصول حتى أوان النضج ثم يبدءون الحصاد منه[١] .

مقاييس النيل :

أهتم المصريين بمراقبة النيل لمعرفة منسوب المياه الفيضان ودفعهم ذلك إلى إنشاء المقاييس منذ أقدم العصور، ويذكر المقريزي أن أول من قام بقياس النيل بمصر يوسف- عليه السلام- فقد وضع مقياسا بمنف، وأن القبط كانت تقيس عليه إلا أن بطل، وبعد الفتح الإسلامي لمصر بني عمرو بن العاص مقياسا بأسوان، وأقام عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان، ثم وضع أسامة بن زيد التنوخيى مقياسا بالجزيرة في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي [٢] ، ولما تهدم مقياس أسامة بن زيد أقام المتوكل مقياسا آخر بالجزيرة وهو الذي يقاس عليه الآن[٣] .

والمقياس عبارة عن بركة في وسطها عمود طويل عليه علامات الأذرع والأصابع[٤] ، وكانت المقاييس تحت إشراف الحكومة ورقابتها وتسجل أقصى ما يبلغها ارتفاع الفيضان فيذكر الرحالة ناصر خسرو أنه عند زيارته لمصر وجد أن المصريين أعدوا مقاييس وعلامات لمعرفة زيادة النيل ورتبوا عاملا لتسجيل الزيادة وكان يسمى صاحب المقياس وفي زمن المماليك كان يأخذ مقدار الزيادة في عصر كل يوم منذ السابع والعشرين من بونه(حزيران)وتعلن الزيادة بالأصابع دون الأذرع ويعلن صاحب المقياس الزيادة ليعلنها المشاعلية في اليوم التالي في حين يكتب للأمراء وأصحاب السيف والقلم كقاض القضاة

---

(١) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٦٦

(٢) المقريزي: الخطط ج١/ص٥٧-٥٨

(٣) المصدر السابق ص٥٩

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٠٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكاتب السر وناظر الخاص وناظر الجيش والمحتسب أوراقا بمقدار الزيادة وتستمر زيادة النيل طول شهر أبيب (تموز)ومسرى(آب) وتوت(أيلول) ثم يأخذ الانخفاض بعد أثنى عشر يوما من انتهاء الزيادة وبذلك تكون مدة الزيادة ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما تروي معظم أراضي مصر سقية كافية لزراعة المحاصيل الشتوية[١]، ولأهمية وظيفته كان يتناول راتبا يبلغ ألف دينار[٢] .

وقد كانت مصر كلها تروي من ستة عشرة ذراعا غامرها وعامرها لما أحكموا من جسورهم وبناء قناطرها وتنقية خلجانها[٣] .

تحسين الري في مصر :

نظرا لأن تحسين الري في مصر يرتبط بعمق الترع والقنوات ارتباطها بالمحافظة الكاملة على الجسور المقامة في عرض وادي النيل اهتمت الحكومات المصرية القائمة بإقامة الجسور وصيانتها لتنظيم الانتفاع بماء النيل[٤] .

وكانت صيانة الجسور عملا إجباريا، وكانت تنقسم إلى قسمين:

أ- الجسور السلطانية :

وتشرف عليها الحكومة المركزية وترعاها [٥] ، وكان لها رسوم تستخرج بأيدي مستخدمين من الديوان، وتنفق أموالها على صيانة هذه الجسور وقد أصبحت هذه الرسوم في عهد الأيوبيين جزءا من الخراج يدفعها الفلاحون بنسبة ما يزرعها كل منهم[٦]

ب-الجسور البلدية :

وهي تختص بناحية دون أخرى فيتولى إقامتها ورعايتها المقطعون والفلاحون من أصل مال ناحيتهم[٧]

---

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ص٨١

(٢) د. عامر نجيب موسى: الحياة الاقتصادية في مصر ص١٧٠

(٣) المقريزي : الخطط ج١/ ٦٠

(٤) د . حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ج٤/ص٣٨٩

(٥) المقريزي: الخطط ج١/ ١٠١

(٦) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٦٥

(٧) المقريزي: الخطط ج١/ ص١٠١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد نفذت حكومة الحاكم بأمر الله الفاطمي مشروعا كان ذا أثر عظيم في تسهيل الري والمواصلات، ففي سنة ٤٠٤هـ طهر خليج الإسكندرية وبلغ ما أنفقته الحكومة على هذا العمل خمسة عشر ألف دينار[١] .

وفي عهد وزارة الأفضل بن بدر الجمالي نفذ مشروع مائي عظيم الأهمية إذ أشرف أبو المنجا ابن اشعيا وكان على رأس إدارة الزراعة على حفر خليج يخرج من النيل وقد عرف باسمه فيما بعد، وكان الغرض منه ري جانب كبير من الأراضي الواقعة شرقي فرع دمياط[٢] .

وقد أهتم الأيوبيون بعمارة القناطر والجسور حتى أن صلاح الدين الأيوبي عهد إلى الأمير قراقوش الأسدي بذلك [٣] .

وفي زمن المماليك كانت السلطنة تنتدب في كل سنة أميرا لكل ناحية لصيانة الجسور يطلق عليه لقب كاشف التراب أو كاشف الجسور[٤] ، وقد تضاف هذه الوظيفة أحيانا إلى والي المنطقة ما عدا منطقة الجيزة التي كانت تختص دائما بوجود كاشف لها ويكون لكل منطقة ديوان خاص يشرف عليه كاتب منفرد وفيه ما على كل منطقة من الحراريف والأبقار والمقلقلات وعدد العمال والمهندسين الذين سيساعدون الكاشف، وتؤخذ توقيعات الولاة على أنه قد تم انجاز الجسور حسب المراسيم السلطانية وأي خلل في ذلك يعاقب عليه الوالي وتصادر أمواله[٥].

أثر الزراعة في حياة السكان

لقد كان للزراعة في مصر أثر واضح في رخص الأسعار وكثرة السلع الغذائية مما أحدث رواجا اقتصاديا وانتعاشا اجتماعيا في حياة السكان باستثناء الفترات التي حدثت فيها أزمات اقتصادية نتيجة القحط والجفاف.

---

(١) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص١٠٣

(٢) د. جمال سرور: الدولة الفاطمية ص١٥٣، د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص١٠٤

(٣) د. سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ص١٦٦

(٤) المقريزي: السلوك ج٣ ق٢ ص٥٤٤/٧٦٦

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى ج٣ /ص٢-١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ففـــي مصر نجد أنها تعتمد في زراعتها على نهر النيل وإذا نقص فيضان النيل عن المستوى اللازم لري الأراضي، كان المصريون يعجزون عن تلافي النتائج الخطيرة المترتبة على هذه الظاهرة الطبيعية نظرا لعدم وجود نظام للري الثابت يرتكز على قواعد علمية دقيقة.

أمـــا الفيضان العالي فلم يكن يقل خطرا عن الفيضان المنخفض، وبرغم أنه كان قليل الحدوث إلا أن أثره كان خطيرا لأنه يغرق الأراضي ويفسد المراعي ويهلك الماشية اللازمـــة للـــزرع، وفـــي كـــل هذه الحالات كانت الزراعة تتعذر في كثير من المناطق، ويترتـــب على ذلك قلة العرض من المواد الغذائية بالنسبة إلى الطلب وترتفع الأسعار[١] ويسود الغلاء الذي يؤثر في حياة السكان نتيجة قلة المزروعات الغذائية.

وحيـــنما يصـــل ارتفاع النيل إلى الحد المناسب والمنسوب الملائم للزراعة يقوم الفلاحـــون بزراعة الأراضي، وتنخفض الأسعار وتتوفر المواد الغذائية، وتهدأ الأحوال، وتستقر الأمور وتستقبل البلاد الرخاء.

وعلـــى الـــرغم من ذلك فإن العناية بالزراعة ومرافقها في زمن المماليك لم يكن يـــرقى إلـــى حـــد تقدم الفلاحين أو ارتفاع مستوى معيشتهم فالفلاح آنذاك كان يحيا حياة بسيطة مليئة بالكد والجهد والتعب في خدمة الأرض التي يزرعها ويفنى حياته في خدمتها وليس له من خيراتها إلا القليل لأن خيرات البلاد ومحصولات الأراضي الزراعية كانت نهبا موزعا بين السلاطين والأمراء ومماليكهم[٢]

٢- الصناعة:

كان للصناعة حظ كبير من عناية ورعاية الخلفاء والسلاطين والأمراء، ولما لها من أثـــر كبير في رواج التجارة وازدهار الاقتصاد، فاهتموا باستخدام موارد الثروة المعدنية علـــى اختلافها فاستخرجوا الذهب والفضة والنحاس والحديد، كما أقاموا الصناعات التي اتخذت مادتها الخام من الزراعة.

---

(١) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٧٩

(٢) د. سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام ص٢٨٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولقد أحسن المصريون الاستفادة من ثرواتهم المعدنية والطبيعية المختلفة، وأتقنوا الكثير من الصناعات واشتهروا بها، فتقدمت الصناعة المصرية تقدما ملموسا، وكان مما ساعد على تقدمها استقرار الأمور في البلاد، فضلا عن حياة الـترف والـبذخ التي سادت المجتمع في بعض المدن المصرية وبخاصة القاهرة والفسطاط وكان لهذه الحياة تأثيرا كبير في الإنتاج الصناعي.

وسوف نورد أهم المعادن في مصر والتي اعتمدت عليها بعض الصناعات ثم نعرض للصناعات المختلفة التي قامت في البلاد، ونبين أثر هذه الصناعات في حياة السكان.

توجـد في مصر بعض المعادن التي استخدمت في كثير من الصناعات وساهمت في ازدهار الحالة الاقتصادية في البلاد في معظم الأوقات، ومن هذه المعادن:

***الذهب:**

الذهـب أكثر المعادن الثمينة شيوعا بين الناس غنيهم ومتوسطهم وفقيرهم، وفي مصـر توجد مناجمه بالصحراء الحارة التي تقع إلى شرقي النيل في الصعيد بين أسوان وعـيذاب وكانت أكبر مدينة لمناجم الذهب في العلاقي التي تقع على مسيرة خمس عشرة مـرحلة مـن أسـوان، فكـان العمال يتجولون في الليالي التي يضعف فيها ضوء القمر ويعملـون على المواضع التي يرون فيها شيئا مضيئا علامة يعرفونها ويبيتون هناك فإذا أصبحوا حملوا أكوام الرمل التي علموا عليها ومضوا بها إلى أبار هناك فيغسلونها بالماء ويستخرجون التبر منها ويقومون بعد ذلك بسبكه(١).

١- المعادن:

***الزمرد:**

اشـتهر الصـعيد بوفـرة مـناجم الزمـرد الذي كان يصدر إلى أوربا وآسيا والحبشة(٢)، ويتفق كل من المقريزي والعمري على أن مناجمه توجد جنوبي أسوان على

---

(١) آدم متز : تاريخ الحضارة الإسلامية ج٢/ص٢٣٥، المقريزي : الخطط ج١/ص١٩٧، د. نعيم زكي: طرق التجارة ص٢٥٣

(٢) العمري: مسالك الأبصار ص٧٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مسـافة ثمانـية أيـام من قوص في برية منقطعة عن العمارة[١] ويوجد في صدر مغارة طويلة في حجر أبيض منه يستخرج الزمرد والحجر الأبيض ثلاثة أنواع أحدهما يقال له طلق كافوري والثاني طلق فضي والثالث يقال له حجر حرمود يضرب في هذه الحجارة حتى يخرج الزمرد وهو كالعروق فيه[٢] ويرى آدم متز أن الجبل الوحيد الذي به معدن الزمرد في المملكة الإسلامية يوجد في مصر[٣] ويرى القلقشندي أنه معدن لا نظير له في سائر أقطار الأرض[٤] .

***معدن النطرون :**

يوجد في بركة النطرون التي بالجبل الغربي غربي عمل البحيرة وهي من أعظم المعادن وأكثرها متحصلا ويوجد في الخطارة من الشرقية ويعرف بالخطاري، ويوجد في البحيرة بقرية تسمى الطرانة على مسيرة يوم فيها مائة فدان تشغل نحو مائة ألف دينار[٥] وترنوط بها معدن النطرون الجيد[٦] .

***الشب :**

كـان الشـب يستخرج من أسوان، والواحات، ويحمله العرب إلى ساحل قوص وأخمـيم والبهنسا وينقل منها إلى الإسكندرية حيث يصدر للخارج[٧] ، ويتدرج الشب في أنواعه من النوع الممتاز الذي يشبه الثلج في لونه، وإن شابته أحيانا بعض الألوان الباهتة كالأحمـر والأخضـر ويسـتخدم الشب في بعض الأغراض الطبية وفي تثبيت الألوان والصـبغات علـى الملابس فيكسبها لمعانا شديدا، كما كان يستخدم في الرسم والصباغة والدباغة[٨] .

---

(١) آدم متز: تاريخ الحضارة الإسلامية ج٢/ص٢٤٠

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ج٣/ص٢٨٧

(٣) المصدر السابق ص٤٦٠

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص٣٤١(ترنوط: قرية بالقرب من المحلة)

(٥) المصدر السابق ص٢٨٨

(٦) المصدر السابق ص٤٥٩

(٧) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص١٢٤

(٨) د . نعيم ذكي: طرق التجارة ص٢٣٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

***معدن النفط :**

يقول القلقشندي: "على ساحل بحر القلزم يسيل دهنه من أعلى الجبل قليلا وينزل إلى أسفله فيتحصل في أزياء قد وضعها له العمال وتأتي العرب فتحمله إلى خزائن السلاح السلطانية"[١] .

***بعض المعادن الأخرى:**

يذكر المقريزي أن معدن الزئبق يوجد في قفط[٢] ، ويقول الحميري إنه" في أرض الواحات الخارجة جبل معترض فيها[٣]سامي الذروة فيه معدن يستخرج منه حجر اللازورد"[٤] ويذكر الإدريسي أنه يحمل إلى أرض مصر فيصنع بها[٥]ومن الأحجار البحرية يستخرج معدن الرخام في مدينة الإسكندرية[٦]

وفي الجانب الشرقي من أسوان جبل رخام عظيم تقطع منه العمد التي يسميها أهل مصر الأسوانية وفيها حجارة الطواحين[٧] في شهر يونيه والشهر الذي يليه ويستخرج منه جوهر نفيس يذهب الغائصون إلى تلك الجزائر في الزوارق ويقيمون فيها أياما ثم يعودون بما قسم الله لكل منهم[٨] .

وفي وادي هبيب وهو الوادي الذي يقع بالجانب الغربي من أرض مصر فيما بين مريوط والفيوم ويسمى وادي النطرون يجلب منه الملح الأندراني والملح السلطاني، وهو على هيئة ألواح الرخام، وفيه الكحل الأسود[٩] .

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج٣/ص٢٨٨، ص٤٥٩

(٢) المقريزي : الخطط ج١/ ص٢٣٢

(٣) الحميري : الروض المعطار ص٦٠٠

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ج١/ص١٢٢

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٩٦

(٦) الخطط ج١/ص١٩٧، المسعودي : مروج الذهب ج١/ص٣٥١

(٧) المقريزي : الخطط ج١/ص٢٠٣

(٨) ابن جبير : الرحلة ص٤٦

(٩) المقريزي : الخطط ج١/ص١٨٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب- الصناعات:

تعـددت الصـناعات في مصر واعتمدت على المواد الخام الزراعية واعتمد البعض الآخر على المعادن والمواد الخام غير الزراعية ومن هذه الصناعات:

***صناعة المنسوجات :**

ازدهـرت في مصر صناعة المنسوجات، وتمتعت برواج كبير وزاد إنتاجها وتنوعت أصنافها وكان الكتان هو القماش الذي اختصت به مصر وكانت الفيوم أكبر مكان لزراعته وكـان يصدر إلى كثير من البلدان(١) وكان المركزان الكبيران لصناعة نسيج الكتان هما الفيوم وبجهة تنيس بنواحيها وهي : مدينة تنيس، دمياط ، وشطا، ودبيق، التي كانت أكبر المدن التي تصنع النسيج وإليها كان ينسب أجود أنواع الأقمشة وهو المسمى بالدبيقي(٢) .

ويذكر ابن بسام أنه يوجد بتنيس من المناسج التي تعمل فيها الثياب خمسة آلاف منسج ويعمل فيها عشرة آلاف عامل سوى من يطيب أو يرقم من الذكور والإناث وتنتج أنواعا مختلفة من الأقمشة الجيدة مثل : الثياب المذهبة والمقاطع والمفارش والستور والسقلاطون الدبيقي والمصمت الدبيقي والعتابي وما لا يمكن وصفه(٣) .

ويذكر المقريزي : أن بتنيس تصنع ثياب الشروب التي لا يصنع مثلها في الدنيا، وكان يصـنع فيها للخليفة ثوب يقال له البدنه لا يدخل فيه من الغزل سداء ولحمة غير أوقيتين وينسـج باقـيه بالذهب بصناعة محكمة لا تحتاج إلى تفصيل ولا خياطة تبلغ قيمته ألف دينار(٤) .

وكانـت الدولـة تشرف على هذه المصانع(٥) ، وكان القماش الذي يصنع بمصر هو الكتان الأبيض، وكان من ثياب الإسكندرية ما يباع منه نوع من الثياب يسمى الشرب كل وزن درهم منه بدرهم من الفضة(٦) .

---

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية ج٢/ص٢٥٨

(٢) المصدر السابق

(٣) ابن بسام : أنيس الجليس في أخبار تنيس ص١٨٥

(٤) ابن بسام : أنيس الجليس في أخبار تنيس ص١٨٥

(٥) ناصر خسرو: سفرنامه(حاشية ص٧٨)

(٦) آدم متز: الحضارة الإسلامية ج٢/ص٢٥٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي دبيق توجد الأقمشة الحريرية المزركشة[١] وإليها تنسب الثياب المثقلة والعمائم الشرب الملونة والدبيقي العلم المذهب، وكانت العمائم الشرب المذهبه تعمل بها[٢].

وإلى مدينة شطا[٣] تنسب الثياب الشوطية وكانت كسوة الكعبة تصنع بها[٤]، ويصنع ببهنسة الستور[٥] البهنسية وتنسج الطرز والمقاطع السلطانية والمضارب الكبار والثياب المميزة ويقيم بها التجار الستور الثمينة، ولا يصنع فيها شئ من الستور والأكسية والفرش واشتهرت في جميع البلدان[٦] .

وكانت صناعة النسيج في مصر من الرقي بحيث أمكن أيضا صنع بعض الأقمشة الصوفية ، فكانت تصنع بمدينة طحا إحدى قرى الصعيد ثياب الصوف الرفيعة[٧] الصوفية من الصوف العسلي العين المصبوغ والستائر والمضارب[٨] .

ولقد تمتعت تجارة المنسوجات برواج عظيم وحصل المشتغلون بها على ثروات عظيمة حتى قيل إن أحد تجار البز ترك ثروة قدرها مائة ألف دينار، وكان في مصر وحدها مائتا خان لبيع المنسوجات لا يقل إيجار الواحد منها عن اثني عشر ألف دينار في السنة[٩] .

وسواء كانت الأقمشة التي صنعت في عصر المماليك من الحرير أو القطن أو الصوف أو الكتان فإنها جميعا امتازت بدقة الصناعة وثبات الألوان وجودة الخامة ومتانة النسيج كما تشهد على ذلك قطع النسيج المتبقاة من ذلك العصر[١٠]

---

(١) دبيق قرية من قرى دمياط ويمكن القول أنها من محلة بلدة ديبج الحالية الواقعة على مسافة أثنى عشر كيلو مترا جنوب السنبلاوين(د. راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٣٨٣)

(٢) ناصر خسرو: سفرنامه(حاشية ص٩٦)

(٣) المقريزي: الخطط ج١/ص٢٢٦

(٤) شطا: على بعد أميال من دمياط وإلى الجانب الغربي لبحيرة تنيس(بحيرة المنزلة)(د. راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٣٨٢)

(٥) المقريزي: الخططج١/ص٢٢٦

(٦) المصدر السابق

(٧) الحميري : الروض المعطار ص١١٤، الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص١٣٠

(٨) آدم متز: تاريخ الحضارة الإسلامية ج٢/ص٢٥٨

(٩) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص١٢٥، المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٠٢

(١٠) المقريزي: الخطط ج١/ص٢٠٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

*صناعة السفن:

اهـتم المصـريون بصناعة السفن وكانت السفن المصرية على نوعين البحرية والنيلـية وتصـنع في الثغور كالإسكندرية وقوص ودمياط وفي جزيرة الروضة والمقس والقاهرة[١]

ويقـول المقريـزي عن دار صناعة السفن" الصناعة أسم لمكان قد أعد لإنشاء المراكـب الحربـية التـي يقال لها السفن واحدتها سفينة وهي بمصر على قسمين نيلية وحربية فالحربية هي التي تنشأ لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة فتمر مـن ثغر الإسكندرية وثغر دمياط وتنيس والفرما إلى جهاد أعداء الله من الروم والفرنج، وكانت هذه المراكب الحربية يقال لها الأسطول، وأما المراكب النيلية فإنها تنشأ لتمر في النيل صاعدة إلى أعلى الصعيد ومنحدرة إلى أسفل الأرض لحمل الغلال وغيرها[٢] .

ولقد قويت العناية بالأسطول في زمن الظاهر بيبرس الذي أهتم بدور صناعة السفن وكـان يـتفقد أمورهـا بنفسه ومنع الناس من التصرف في أخشاب السفن وتبعه في ذلك السلطان الأشرف خليل بن قلاوون الذي أهتم بإنشاء أسطول قوي عهد بإعداده إلى الوزير شمس الدين بن السلعوس ووصلت عدته إلى ستين مركبا أمر السلطان بتجهيزها بالآلات الحربية والرجال واستعرضها في جزيرة الروضة في يوم مشهود[٣] واقتدى به السلاطين من بعده فكان لهم اهتمام بأمور الجهاد وعناية بالأسطول وواصل سلاطين المماليك إنشاء المراكـب الحربـية بمـدن مصـر وإسكندرية ودمياط من الشواني الحربية والشلنديات والمسـطحات ،لـم يـتوقف الأمر على الأسطول الحربي، بل نشطت صناعة المراكب لأغـراض النقل والتجارة نتيجة للتوسع التجاري الذي شهدته البلاد في هذه العهد، فكانت السـفن تقلـع إلى موانى شمال أفريقيا وجنوب أوروبا وجزيرة صقلية والشام وتعود إلى مصـر محملـة بالسـلع الكثـيرة، كما كانت السفن تملأ سطح النيل محملة بالغلال إلى الفسطاط، والمتاجر الشرقية من أسوان وقوص بعد وصول القوافل[٤] .

---

(١) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص١٣٨

(٢) د. سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام ص٢٩١

(٣) المصدر السابق ص١٨٩

(٤) المصدر السابق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أورد بن بسام أسماء كثير من المراكب المستخدمة لصيد السمك مثل: الجرافات، والأنكبارات، والعينات، والسد والطراحين، والجراجن، والباريات ومراكب الترعة، والفلاحين والطباخين، ومراكب القود والدق ومراكب المضارب ومراكب القرندس، ومراكب اللبانين ومراكب الدور، وأكثر ما يحمل المركب منها ستون رجلا وأقله ثلاثة رجال[١] .

ويذكر ابن جبير طريقة إنشاء نوع من السفن تسمى الجلاب كانت تستخدم في نقل الحجاج من عيذاب إلى جدة فيقول: والجلاب ملفقة الإنشاء لا يستعمل فيها مسمار ألبته إنما هي مخيطة بأمرسة من القنبار وهو قشر جوز النارجين يدرسونه إلى أن يتخيط ويفتلون منه أمراسا يخيطون منها المراكب ويخللونها من عيدان النخل فإذا فرغوا من إنشاء الجلبة على هذه الصفة سقوها بالسمن أو بدهن الخروع أو بدهن القرش ليلين عودها ويرطب لكثرة الشعاب المعترضة في هذا البحر[٢] ، وفي مدينة الصالحية تصنع سفن كثيرة حمولة كل منها مائتا خروار(حمل حمار)وتنتقل البضاعة إلى مدينة مصر[٣] .

***صناعة السكر:**

ومن الصناعات الهامة التي ازدهرت في مصر كانت صناعة السكر التي لقيت اهتماما من الأمراء والسلاطين لكثرة استعمالهم السكر في مطابخهم،

وقد انتشرت مراكز صناعة السكر في شتى أنحاء البلاد ومنها فقط أربعون مسبكا للسكر وست معاصر للقصب[٤] والفسطاط بها مطابخ السكر[٥]وسمهود على الجانب الغربي من النيل وكان بها سبعة عشر حجرا لاعتصار القصب وملوى كان بها عدة أحجار لاعتصار قصب السكر ويصنعون العسل منه، والبلينا كان فيها عدة مسابك

---

(١) المقريزي: الخطط ج٢ ص١٩٤- ١٩٥

(٢) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص١٥٢

(٣) ابن بسام: أنيس الجليس ص١٨٦

(٤) ابن جبير: الرحلة ص٤٧

(٥) ناصر خسرو: سفرنامه ص٨٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للسكر[١] ، ومدينة سمسطا فيها مزارع لقصب السكر، ويعمل بها السكر ما يقوم بأكثر ديار مصر[٢] .

ويذكر العمري أن السكر بمصر كثير جدا وتبلغ قيمته درهمين ونصف لكل رطل ومنها يجلب السكر على اختلاف أنواعه إلى كثير من البلاد[٣] وفي مصر سوق الحلاويين كان معدا لبيع أنواع الحلوى المختلفة المصنعة من السكر، وكان من أبهج الأسواق ولما يشاهد في الحوانيت التي بها من الأواني وآلات النحاس الثقيلة الوزن البديعة الصنعة ذات القيم الكبيرة، والكثير من الحلوى المصنعة بمختلف الألوان وتسمى المجمعة، ويذكر المقريزي أنه شاهد السكر يباع بهذا السوق كل قنطار بمائة وسبعين درهما[٤] ، وكان منظر هذا السوق في شهر رجب بهيجا لما كان يصنع فيه من السكر أمثال خيول وسباع وقطط وغيرها تسمى العلاليق لأنها تعلق بخيوط على الحوانيت فمنها ما يزن عشرة أرطال إلى ربع رطل تشتري للأطفال فلا يبقى جليل ولا حقير حتى يبتاع منها لأهله وأولاده، وتمتلئ أسواق مصر والقاهرة وأريافها من هذا الصنف[٥] .

ويذكر ابن إياس أن السلطان الغوري أرسل إلى السلطان العثماني سليم الأول "مائة قنطار سكر وحلوى في علب كبار" على سبيل الود والتصالح بينهما[٦]

ويذكر السكر كأحد محصولات الشرق التي تصدر للغرب، وينصح أطباء العصور الوسطى مرضاهم باستخدامه لأمراض الصدر، وهو من بين المواد العقاقيرية لدى صيادلة العصور الوسطى[٧] .

---

(١) المقريزي: الخطط ج١/ ص٢٣٢

(٢) المصدر السابق ص٣٤٢

(٣) المصدر السابق ص٢٠٤،٢٠٣

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص١٣٠

(٥) العمري: مسالك الأبصار ص١٨

(٦) المقريزي: الخطط ج٢/ص٩٩

(٧) المقريزي: الخطط ج٢/ص١٠٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

***صناعة الزيت:**

تستخدم مختلف أنواع الزيوت التي تصنع في مصر في تتبيل المأكولات أو لإنارة الشوارع أو للإضاءة داخل البيوت، ويستخدم في صنع الزيوت بذور الخس والقرطم واللفت والكتان والسمسم[١] ، أما معاصر الزيت فقد انتشرت في الأقاليم التي كانت تزرع فيها هذه النباتات، ففي تنيس يذكر ابن بسام أن بها مائة معصرة للزيت أعداد رجالها مختلفة أقلهم اثنتان وأكثرهم عشرون[٢] ، ويذكر المقدسي أن المحلة الكبيرة بها سوق زيت حسن[٣] .

وكان أهم أنواع الزيوت ما اتخذ من الزيتون وكان رخيص الثمن[٤] ، وأما زيت السمسم المعروف باسم الشيرج فكان قليلا وثمنه مرتفعا[٥] وكانوا يستخرجون من بذور البنجر والفجل واللفت زيتا للمصابيح يسمونه الزيت الحار[٦] .

ويذكر القلقشندي أن زيت قناديل مسجد النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يصل من مصر من أوقاف بها سبع وعشرين قنطارا، كل قنطار مائة وثلاثون رطلا مصريا[٧] .

صناعة الصابون:

يذكر الإدريسي أن مدينة قفط بها مزارع للبقول مثل اللفت والخس ويجمعون بذورها ويطحنونها ويستخرجون أدهانها ويصنعون منها أنواعا من الصابون يتصرفون به في جميع أرض مصر[٨] ،وصابونها معروف النظافة[٩]، وبالفسطاط وجدت مطابخ الصابون[١٠].

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور ج٥ ص٦٠
(٢) د. نعيم زكي: طرق التجارة ص٢٤٣
(٣) جيرار: وصف مصر ص١٩١
(٤) ابن بسام: أنيس الجليس ص١٨٥
(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٩٦
(٦) ناصر خسرو: سفرنامه ص١٠٥
(٧) المصدر السابق، د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص١٨٠
(٨) آدم متز: تاريخ الحضارة الإسلامية ج٢/ص٢٢٧، ناصر خسرو: سفرنامه ص١٠٥
(٩) القلقشندي: صبح الأعشى: ج٤/٣٠٤
(١٠) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص١٢٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان المحتسب يأمر أصحاب الحمامات بغسل أرضيتها من الصابون لئلا تزلق أرجل الناس فيصابون بالضرر، إذا كان استخدام الصابون فيها كثير[١].

***صناعة الشمع:**

وتعتبر الإسكندرية من أكبر مراكز هذه الصناعة لأن لرطوبة الجو أثر كبير في تماسك المواد المصنوعة من الشمع[٢] ،ولأهمية استخدام الشمع في حياة المصريين نهى المحتسبون عن غشه وبينوا أن البعض قد يغش الشمع بشحم الماعز وبالقلفونية، وقد يضعون فيه عند سبكه دقيق الباقلا أو الرمل الناعم أو الكحل الأسود المسحوق ثم يجعل ذلك بطانة في الشمعة ثم يغطى بالشمع الخالص ومعرفة أنك إذا أشعلت الشمعة ظهر فيها ذلك[٣] .

ويذكر القلقشندي أن مصر كانت ترسل إلى المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة مائة وستين شمعة ما بين كبيرة وصغيرة بالإضافة إلى زيت المصابيح والقناديل كل عام[٤] .

وكانت قافلة الحاج حينما تتحرك من مصر تصطحب معها إلى بلاد الحجاز الطيب والشمع والزيت[٥]

***صناعة الورق والتجليد:**

أخذت صناعة الورق تتقدم باطراد في مصر، وقد اختصت الفسطاط بالمطابخ التي يصنع فيها الورق المنصوري[٦] ، أما المادة التي استعملت في عمل الورق فيدل تحليل الخرق التي صنع منها الورق على أنها من الكتان المضروب بالقطن ويبين ابن الحاج أنواع الورق التي كانت تستعمله آنذاك فيقول هناك ورق أبيض ناصع يعمل في الصيف

---

(١) الحميري: الروض المعطار ص٤٧٧

(٢) المقريزي: الخطط ج١/ص٢٤٣

(٣) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص٨٨

(٤) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص١٨٢

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى ج٤/ص٣٠٤

(٦) المقريزي: اتعاظ الحنفا ج١/ص٢٥٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهـناك نـوع يصنع في الشتاء يكون غير مصقول وبياضه تشوبه سمرة[١] وهذا الورق الخفـيف الذي لا يحتمل الكشط لخفته مما يكتب في الرسائل، والورق الجيد الذي يصلح لنسـخ المؤلفـات[٢] وقـد صـاحب صناعة الورق تقدم فن التجليد الخاص بالمصاحف والكتـب[٣] فكانـت الكتـب تجلد بالجلد وتبطن بالورق والحرير[٤] وتذهب، ويعتبر عمل المجلد استكمالا لعمل الخطاط والمذهب والمصور وكان الجميع يتعاونون تعاونا كاملا في إخـراج المخطوطات لتبدوا فيها الوحدة والجمال، وكانت العناية بمظهر الكتاب الخارجي عظـيمة ليتحقق جماله ومتانته، وأقدم نماذج التجليد الجيدة التي عرفت في الفن الإسلامي صنعت في مصر[٥] .

ويـدل على ما وصل إليه التجليد من رقي، مجموعة المصاحف الثمينة الموجودة بدار الكتـب المصرية والتي يرجع جزء كبير منها إلى عصر المماليك بوجه خاص والملاحظ علـى هـذه المصاحف أن الأساليب الفنية لا تبدو في غلاف المصحف أو فاتحته فحسب وإنمـا تظهـر كذلك في سائر صفحاته ولاسيما في فواصل الآيات ومن أمثلة المصاحف الجمـيلة المحفوظة بدار الكتب المصرية مصحف يرجع إلى سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٩م باسم السلطان شعبان[٦].

***صناعة الخزف:**

يعتبر الخزف من أهم الحرف الفنية التي برع فيها الفنان العربي منذ أن استقر الإسلام في مختلف البلدان العربية ويرجع اهتمام المسلمين به أن روح الإسلام لا تتمشى والترف واسـتعمال الخامات الثمينة كالذهب والفضة، ولذلك أقبل الفنانون المسلمون والعرب منهم بخاصـة على فن الخزف إقبالا عظيما واستطاعوا أن ينتجوا خزفا على مستوى عال في

---

(١) ناصر خسرو: سفرنامه ص١٠٨

(٢) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص١٦١

(٣) ابن الحاج: المدخل ج٤/ص٨١

(٤) المصدر السابق ص٨٢

(٥) المصدر السابق ص٨٦

(٦) المصدر السابق ص٨٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قيمـــته الفنـــية، ولـــم يكتفوا بذلك، بل وصلوا إلى أن يكون إنتاجهم الخزفي في الأواني والتحف المختلفة يصلح من حيث الفخامة والجمال لأن يكون بديلا لأواني الذهب والفضة باستعمالهم للبريق المعدني الذي يعتبر صفة خاصة انفرد بها الخزف الإسلامي[١] إذ يعتبر الخزف ذو البريق المعدني فخر صناعة الفخار في مصر.

أمـــا صناعة الفخار غير المدهون فهي صناعة قديمة واسعة الانتشار فكانوا يصنعون من الأزياء والقلل وأوعية الخل والعسل والسمن والنبيذ.

ولا شك أن المجموعة الكبيرة من شبابيك القلل الموجودة في المتحف الإسلامي وغناها وتـــنوع زخارفهـــا، تدل على مدى ما يتمتع به الخزاف المصري من حساسية وإخلاص وقـــدرة فائقـــة علـــى التعبـــير الفني الخالص، وتنسب شبابيك القلل إلى العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي[٢] .

وصنعوا من الخزف ذي البريق المعدني الأزيار الكبار والأواني مما كان يستخدم على المائدة وفي حفظ العطور والبخور وغسل الأيدي بعد تناول الطعام[٣] .

***صناعة الزجاج والبللور:**

اشتهرت مصر بصناعة الزجاج منذ العصور السابقة للإسلام وقد احتفظت بتفوقها غفي هـــذه الصـــناعة فـــي العصـــور الإســـلامية وقد صنعت الأواني من الزجاج كالقوارير والزهـــريات والأكواب وقد وصلت صناعة الزجاج قمتها في مصر منذ عصر الفاطميين فابـــتكروا أباريق وكئوسا وقناني وأضافوا إليها البريق المعدني الذهبي أو الفضي وكانت أهـــم مراكـــز الإنـــتاج هي: الفسطاط والأشمونين والفيوم والإسكندرية، وقد استعمل في زخـــرفة الـــزجاج وتشـــكيله النفخ والضغط والخيوط الرقيقة والقطع، وازدهرت صناعة الأوانـــي البللورية، والبللور الصخري يوجد في باطن الأرض ويعد من أنفس المواد التي تعمل منها الأواني[٤].

---

(١) أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي ص٢٥٢

(٢) د. سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام ص٤٠٢

(٣) أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي ص٢٦٠

(٤) أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي ص٢٧١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

***صناعة الحصر:**

كانت الحصر ولا تزال من أهم الصناعات الصغيرة، وتعتبر من متاع البيت المصري الذي لا غنى عنه، وكانت هذه الصناعة تلقى رواجا كبيرا لاستخدامها في المنازل لتغطية الأرضية وبعض المقاعد والأرائك[١] .

ويصف البغدادي طريقة صناعة الحصير بأنها" متخذة من ورق الموز الهندي بأن يؤخذ العسيب فيشق ويجفف ثم يصبغ وينسج منه هذه الحصر، ويباع الحصير منها بدينارين"[٢] .

ويذكر المقريزي أن وادي النطرون تصنع فيه الحصر من البردي[٣] أما أغلى أنواع الحصر، والتي يشيع استعمالها في المدن الكبرى فتصنع من سمار ينتج في الفيوم بجوار بحيرة قارون كما ينمو في منطقة الطرانة على شواطئ بحيرات النطرون[٤] .

***الصناعات المعدنية الحرفية:**

اشتهرت مصر بالصناعات الحرفية المعدنية الدقيقة الصنع والتي تحتاج جهدا وصبرا ودقة عند صناعتها ومن أشهر تلك الصناعات كانت صناعة السكاكين والمقاريض،التي كانت تصنع بتنيس[٥] بالإضافة إلى مدينة القاهرة مركز هذه الصناعة وكانت تصدر منها إلى الشام[٦]

أما النحاس فكان يستخدم في صناعة كثير من الأدوات المنزلية ويذكر ناصر خسرو أنه رأى قدورا من النحاس الدمشقي كل واحد منها يسع ثلاثين منا، وكانت من الطلاوة بحيث يظن من يراها أنها من الذهب[٧] .

---

(١) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص١٦٧

(٢) أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي ص٢٧٢- ٢٧٣

(٣) وليم نظير: الثروة النباتية ص٢٤٧

(٤) البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٢٦

(٥) المقريزي: الخطط ج١/ص١٨٦

(٦) جيرار: وصف مصر ص١٨٨

(٧) ناصر خسرو: سفرنامه ص٨٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقـد راجت صناعة الكفت واشتهرت في مصر وهي عبارة عن تطعيم الأواني النحاسية بالذهـب أو الفضـة وخصـص لها سوق بالقاهرة سمي بسوق الكفيتين يشتمل على عدة حوانيـت لعمل الكفت ويشير المقريزي إلى رواجه بمصر فيقول: "وكان لهذا الصنف من الأعمـال بديار مصر رواج عظيم، وللناس في النحاس المكفت رغبة عظيمة أدركنا من ذلـك شيئا لا يبلغ وصفه واصف لكثرته فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت ولابد أن يكون في شورة العروس دكة نحاس مكفت والدكة عبارة عن شئ شـبه السـرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والأبنوس أو من خشب مدهون وفوق الدكة دسـت طاسات من نحاس أصفر مكفت بالفضة وعدة الدست سبع قطع بعضها أصغر من بعض"[١] .

أمـا الذهـب والفضة فاستخدموها في سك النقود الذهبية والفضية، وصنع الكثير من أدوات الترف والحلي والمصنوعات كالأساور والأقراط والخواتم[٢] (٥)والسلاسل الذهبية والفضـية وأسـاور وخلاخيل النساء والقلادات الذهبية والفضية، وقد تركزت معظم هذه الصـناعات بأيدي الصناع من اليهود، وأصابوا منها ثروات طائلة دفنوا أكثرها في باطن الأرض خوفا عليها من المصادرة[٣]

وقـد اسـتخدموا الذهب والفضة في تحلية السروج والسيوف والمصاحف والتذهيب، وكانت الملابس الفاخرة يدخل في صناعتها مقادير من خيوط الذهب تختلف قيمتها حسب قيمة الثوب والشخص المصنوع له[٤] وكانت هذه الثياب تصنع بمدينة تنيس وقد يصل ثمن الثوب المذهب ألف دينار[٥] .

---

(١) المقريزي: الخطط ج١/ص٤١٥

(٢) ناصر خسرو: سفرنامه ص١٠٤

(٣) المقريزي: الخطط ج٢/ص١٠٥

(٤) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص١٧٢

(٥) جاستون فييت: القاهرة مدينة الفن والتجارة ص١٦٥- ١٦٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعرفت صناعة الفسيفساء في مصر، ولكننا لا نجد مصدرا يشير إلى ذلك سوى المقدسي الذي يقول: إن حيطان الأروقة بالكعبة قد ألبست من الظاهر بالفسيفساء الذي حمله إليها صناع الشام ومصر وتوجد أسماؤهم عليه[١] .

***صناعة الأخشاب:**

تميز العصر المملوكي بتقدم فن الحفر على الخشب، ولما كانت الأخشاب المحلية من أشجار الجميز والسنط والنبق لا تمتاز بالصلابة اللازمة لهذه الصناعة فكانت مصر تستورد الأخشاب من السودان وبلاد الهند وشبه جزيرة الملايو، وكان المصريون يستخدمون هذه الأخشاب في عمل السقوف والأبواب والمنابر والمحاريب غير الثابتة وربط القوائم والأعمدة ببعضها وصناعة القباب أو تدعيمها[٢] .

ويوجد في متحف الفن الإسلامي مجموعة من الألواح الخشبية وعليها زخارف تمثل مناظر صيد ورقص وطرب وموسيقيين وجمال وطيور وحيوانات، داخل مناطق تفصلها زخارف متشابكة على أرضية من تفريعات الأوراق والأزهار حفرها أكثر عمقا من حفر الأشكال الآدمية [٣].

واستخدمت الأخشاب المحلية في صناعة أثاث البيوت، وعملت السواقي وغيرها من الآلات رافعة الماء، وكذلك الطواحين والمحاريث والنوارج والمعاصر والأنوال والمغازل وكثير من الآلات التي كانوا يستخدمونها في الصناعة[٤] .

***الصباغة والدباغة:**

أ- الصباغة:

عرف المصريون الصباغة والتلوين منذ أقدم العصور ولا زالت آثارهم محتفظة بجمال ألوانها حتى اليوم، وتختلف سوائل الصبغة بالنسبة للخامات المصبوغة، فالقطن والخامات

---

(١) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص١٧٢

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص٣٣٨

(٣) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية س١٧٠

(٤) أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي ص٢٧٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النباتية تصبغ في سائل قوي خفيف، بينما يصبغ الصوف في سائل حمضي [١] وأهم المواد التي تستخدم في الصباغة الفوه وهي صبغة حمراء تستخلص من جذور نبات الفوة[٢] والنيلة البرية وهي صبغة زرقاء تستخلص بالتخمير من أوراق شجرة النيلة البرية[٣] وكانت تزرع في الصعيد والواحات[٤] ويحذر المحتسب الصباغين من الغش وصبغ الثياب بالحناء عوضا عن النيلة لأن الصبغ بالحناء إذا أصابته الشمس تغير لونه وزال إشراقه[٥] وكانت الأقمشة التي أنتجت في العصرين العباسي والطولوني ذات زخارف منسوجة متعددة الألوان من الصوف والكتان، وتألفت الزخارف التي سادت الأقمشة الفاطمية من أشرطة من الكتان توازيها أشكال أخرى من أشكال سداسية أو معينة أو بيضاوية وفي وسط كل رسم طائر أو حيوان أو أكثر في أوضاع متقابلة أو متدابرة ثم زينت قوائم الحروف بفروع نباتية دقيقة، وفي أخر العصر الفاطمي ظهرت بعض الزخارف الكتابية التي استعمل فيها الخط النسخي[٦].

وفي العصر المملوكي زادت العناية بالمنسوجات الحريرية وابتكروا ألوانا لزخرفتها بالزخارف المطبوعة باللون البني وبعض التذهيب[٧].

ب- دباغة الجلد:

برع المصريون في دبغ الجلود وأهم الألوان التي استخدموها في تلوين الجلود اللون الأخضر والأحمر والأصفر واستخدموا ثمار شجر السنط (القرظ)في دبغ الجلود بدلا من العفص[٨] ويكون دباغ جلود الماعز بوزنها من القرظ أما بقية أنواع الجلود فعلى وزن كل

---

(١) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص١٧١

(٢) وليم نظير: الثروة النباتية ص٢٨٢

(٣) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص٧٢

(٤) وليم نظير : الثروة النباتية ص٢٨٣

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص١٢٢، الحميري: الروض المعطار ص١٧٨، جيرار: وصف مصر ص٣٥

(٦) الشيزري: نهاية الرتبة ص٧٢

(٧) أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي ص٢٩٠

(٨) المرجع السابق ص٢٩١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مائـــة جلد صغير أربعون رطلا بالمصري، وتقدير كل مائة جلد كبير وزنا ستون رطلا بالمصري[١] وينهي المحتسب عن دبغ الجلود بدقيق الحنطة والنخال[٢] .

***صناعة الرخام:**

ينتشـــر الـــرخام بمصـــر في أماكن مختلفة فيقول المسعودي: "في الجانب الشرقي من الصعيد جبل رخام عظيم"[٣] .

ويذكر المقدسي أن الإسكندرية بها من الحجارة البحرية معدن الرخام[٤] ، وفي المقطم توجـــد مقاطع حجارة من الرخام[٥] وبالفرما توجد مقاطع الرخام الأبلق[٦] ، وقد استخدم المماليك الرخام في تزيين المساجد وزخرفتها فالجامع السلطان الناصر محمد بن قلاوون تقوم فيه أروقة إيوان القبلة على أعمدة رخامية من طرز مختلفة[٧] .

ومن أهم العمائر التي تنسب للعصر المملوكي مدرسة وبيمارستان السلطان قلاوون وهي المجموعـــة التي تمت عمارتها في زمنه وأجمل ما في هذه المجموعة القبة التي دفن فيها الســـلطان المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد وهي تعد آية من آيات الفن الإسلامي إذ أنهـــا محمولة على أعمدة من الجرانيت ذات تيجان مذهبة وعلى أكتاف أجزاؤها السفلية مغطاه بالفسيفساء الجميل[٨]

ويذكـــر المقدسي أن صحن الكعبة المشرفة تدار بأروقة ثلاث على أعمدة رخام حملت من الإسكندرية في البحر إلى جدة[٩] .

---

(١) وليم نظير : الثروة النباتية ص٢٨٤

(٢) ابن الأخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة ص٢٣٥

(٣) المصدر السابق

(٤) المسعودي: مروج الذهب ج١/ص٣٥١

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٩٧

(٦) المصدر السابق

(٧) المقريزي: الخطط ج١/ص٢١١

(٨) أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي ص١٧٨

(٩) د. سعيد عاشور: العصر المماليكي ص٣٨٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

***صناعة الأدوية من الأعشاب:**

يعـد المصريون من أوائل الشعوب اهتماما بصناعة الأدوية من الأعشاب الطبية التي كانـت تـنمو في وادي النيل والصحاري، وقد عرفوا خواصها وأدركوا مزاياها وفوائد الكثـير مـنها، واستخلصوا موادها الفعالة، وجلبوا بعضها من البلاد المجاورة ولا تزال تستخدم حتى اليوم في علاج بعض الأمراض[١]ومن الأعشاب التي استخدمها المصريون فـي العـلاج ثمرة شجرة السنط والمعروفة(بالقرظ)واستخدمت كعلاج قابض في حالات الإسـهال والدوسـنتاريا واسـتخدم مسـحوق الثمار لعلاج الكحة والنزلات الصدرية، واستخدم الخيار شنبر كملين خفيف، واستخدمت العقد الموجودة على أغصان شجرة الأثل فـي علاج الجروح واستخدم المن الذي يستخرج من أوراقها كغذاء مقو[٢] واستخدم زيت البلسان كعقار طبي يستخرج من عين شمس بمصر[٣] .

وكان صناع الأدوية في مصر يسمون الشرابيين لأنهم يركبون الأشربة والمعاجين من النباتات الطبية[٤] .

وكان المحتسب يمر عليهم في أول كل شهر فإذا وجد شرابا حامضا لتطاول المدة عليه ومتغيرا أمر صاحبه ألا يعيده إلى الطبخ ثانيا لفساده وضرره[٥] .

***مطاحن الحبوب:**

الخـبز هو مصدر للطاقة الحرارية ويصنع عادة من دقيق القمح أو الشعير أو الحبوب الأخرى، وقد اشتهرت مصر بإنتاج كميات كبيرة من القمح فكان أساس الغذاء في البلاد، وكانت الطواحين التي تطحن الحبوب تدور بالدواب[٦] وكان المحتسب ينصح أصحابها ألا

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم ص٧٣

(٢) وليم نظير: الثروة النباتية ص٢١٣

(٣) المصدر السابق ص٢١٧

(٤) ناصر خسرو: سفرنامه ص٩٨-٩٩

(٥) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص٥٦

(٦) المصدر السابق ص٥٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تستعمل الدابة في طحن أكثر من ربع ويبة[1] وكانت الطواحين منتشرة في عدة أماكن بمصر فيذكر ابن بسام أن في مدينة تنيس مائة وستون طاحونا منها ما يشتمل على مدار ومنها ما يشتمل على مدارين وعلى خمسة أحجار مقشرة ومعجنة[2] .ويذكر المقدسي أن مشتول كثيرة الطواحين ومنها يحمل أكثر ميرة الحجاز من الدقيق[3] .

٣-التجارة:

مدخل:

لم يكن اهتمام الخلفاء مقصورا على الزراعة والصناعة بل عنوا أيضا بتيسير سبل التجارة فنشروا الأمن والطمأنينة في أنحاء دولتهم، وأقاموا المحطات والآبار في طرق القوافل وكان لعملهم هذا أثر كبير في إنعاش حركة التجارة، ولهذا أصبحت من أكبر موارد الكسب في الدولة الإسلامية.

وكانت التجارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري مظهرا من مظاهر أبهة الإسلام، وصارت لها السيادة في بلادها وكانت سفن المسلمين وقوافلهم تجوب كل البلاد والبحار وأخذت تجارة المسلمين المكان الأول في التجارة العالمية.

وسوف نعرض للنشاط التجاري، والطرق التجارية والأسواق، واهتمام الحكومات بالتجار ورعاية نشاطهم، ثم التبادل التجاري بين مصر وغيرها من البلدان، وأثره على سكان البلاد.

الطرق التجارية

١ _ شبكة المواصلات البرية في مصر :

كانت هناك سبعة طرق برية تسلكها القوافل التجارية وهي:

١)من قلعة الجبل إلى قوص ويمر بالجيزة وزاوية أم حسين ودهروط، وقلوسنا، ومنية بني خصيب والأشمونيين وذروة سريام، وفم الخليج اليوسفي ومنفلوط وأسيوط وطما

---

(٧) ابن الأخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة ص١٥٢

(١) المصدر السابق

(٢) ابن بسام: أنيس الجليس في أخبار تنيس ص١٨٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمـــراغة وبلسبورة(وتعرف الآن باسم بلصفورة)وجرجا والبلينا والكوم الأحمر ودندري وقوص.

٢)من قوص إلى بلاد النوبة مارا بأسوان.

٣)من قوص إلى سواكن مارا بقفط وليطة والدريج وحميرة وعيذاب وبني عامر وسواكن.

٤)مـــن القلعـــة إلـــى الإسكندرية عن طريق وردان مارا بالجيزة وجزيرة القط ووردان والطرانة وطيلاس ودمنهور ولقينة والإسكندرية.

٥)من القلعة إلى الإسكندرية عن طريق قليوب مارا بقليوب ومنوف العليا والمحلة الكبرى والنحريرية(وتعرف بالنحارية الآن)والإسكندرية.

٦)من القلعة إلى دمياط مارا بسرياقوس وبئر البيضاء وبلبيس والسعيدية وأشمون الرمان والمرناصية ودمياط.

٧)مـــن دمـــياط إلـــى غزة مارا بالخطارة وقبر الوايلي والصالحية وبئر غزى والقصير والعزابي وقطيا والمطيلب والسوادة والعريش والخروبة والزعقة ورفح والسلفة والجميزة والداروم وغزة[١] .

وكان التجار والحجاج يغدون إلى ثغر عيذاب عن أحد طريقين: أحدهما طريق قوص ويتفرع إلى فرعين، أحدهما يعرف بطريق"العبدين" ويعرف الثاني بطريق"دون"وهي قرية علـــى شـــاطئ النـــيل، أما الطريق الثاني فهو طريق مدينة أسوان[٢]وكان يمتاز بقصره، وكانـــت القوافـــل تقطعـــه في خمسة عشر يوما، كما تميز هذا الطريق بخلوه من الجبال المتشـــابكة، أضـــف إلـــى ذلك أسوان كانت ثغرا هاما للتجارة مع بلاد النوبة، لذلك كان المســـافرون يفضـــلون طـــريق أسوان على طريق مدينة قوص، وكانت المراكب تسير بالحجـــاج شـــرقا إلـــى جدة ميناء الحجاز، أو البضائع جنوبا إلى بلاد اليمن وعدن حيث تستأنف سيرها إلى سواحل بلاد الهند والصين، ثم تعود محملة بالبضائع إلى عيذاب ومنها إلى الساحل المصري[٣] .

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١٩٥

(٢) د. حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ص٥٩٦

(٣) المرج السابق ص٥٩٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأسواق في مصر

تعد السوق من أبرز ميادين تصريف الإنتاج الزراعي والصناعي، ولقد لعبت الأسواق دورا واضـــحا ومهما في حياة البلاد، سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية فكانت السوق مركز البيع والشراء، وبها تعقد الصفقات وتقرر حالة البلاد الاقتصادية.

وقد تحدث المؤرخون عن كثير من الأسواق في مصر وسنشير إلى أهمها كما يلي :

*أسواق مدينة الإسكندرية وكانت كثيرة الاتساع[١] والازدحام[٢] .

*سوق برمة وهي قرية كبيرة فيها جميع المرافق[٣] .

*أسواق قليوب[٤] .

*سوق أتريب وهي قرية في الشرقية وكانت سوقها عامرة[٥] .

*أسواق مدينة دمياط[٦] .

*سوق قرية منية غمر[٧] .

*ســـوق قرية دمسيس، وهي قرية عامرة آهلة وسوقها يوم السبت ويباع بها ويشترى من الثياب والأمتعة، والتجار يقصدونها لرواج سلعها[٨] .

*أســـواق مديـــنة مليج[٩] وإلى جهة الغرب منها على مسافة خمسة عشر ميلا من مدينة طنطنه وهي مدينة متحضرة صغيرة ذات سوق وأرزاق دارة وأحوال صالحة وأهلها في رفاهة وخصب[١٠] .

---

(١) د. حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ص٥٩٠

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص٣١٩

(٣) ابن جبير: الرحلة ص١٤

(٤) ابن جبير: الرحلة ص١٨

(٥) المصدر السابق

(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص٣٣٣

(٧) العمري: مسالك الأبصار ص١٥٨

(٨) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص٣٣٤

(٩) المصدر السابق

(١٠) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص٣٣٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

*سوق مدينة سنباط[١] .

*سوق الجيزة ويقام يوم الأحد وهو من الأسواق العظيمة التي يجتمع إليها كثير من التجار[٢] .

*أسواق منية ابن الخصيب وتقع على شط النيل[٣] ، وعلى الشط الغربي للنيل تقع منفلوط وفيها أسواق كثيرة، وسائر ما يحتاج إليه من المرافق[٤] .

*أبو تيج وهي بلد فيه الأسواق وسائر مرافق المدن[٥] .

*أسواق قوص وقد وصفها ابن جبير بأنها" حفيلة بالأسواق متسعة المرافق ، كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار واليمنيين والهنديين وتجار أرض الحبشة وهي ملتقى الحجاج المغاربة والمصريين والإسكندرية ومن يتصل بهم"[٦] .

*أسواق تنيس وهي أسواق فخمة، وقد يبلغ عدد الدكاكين بها عشرة آلاف دكان[٧] ، ويذكر ناصر خسرو أن الفسطاط بها أسواق وشوارع تضاء فيها القناديل دائما[٨] ويقول على الجانب الشرقي لمسجد عمرو بن العاص سوق يسمى سوق القناديل لا يعرف سوق مثله في أي بلد وفيه كل ما في العالم من طرائف ورأيت هناك الأدوات التي تصنع من الذبل كالأوعية والأمشاط ومقابض السكاكين وغيرها"[٩] .

ويذكر المقريزي أن بمدينة مصر(الفسطاط) والقاهرة وظواهرها من الأسواق شئ كثير جدا[١٠] ، ومن هذه الأسواق:

---

(١) المصدر السابق ص٢٣٥

(٢) المصدر السابق

(٣) ابن جبير: الرحلة ص٢٩

(٤) المصدر السابق ص٣٢

(٥) المصدر السابق ص٣٥

(٦) المصدر السابق

(٧) ابن جبير: الرحلة ص٤٠- ٤١

(٨) ناصر خسرو: سفرنامه ص٧٦

(٩) المصدر السابق

(١٠) المصدر السابق ص١٠٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

*سوق باب الفتوح، ويقع في داخل باب الفتوح وهو معمور الجانبين بحوانيت اللحامين والخضريين والفاميين، والشرايحية وغيرهم، ويعد من أجل أسواق القاهرة وأعمرها يقصده الناس من أنحاء البلاد لشراء أنواع اللحوم المختلفة كالضأن والبقر والماعز ولشراء أصناف الخضروات.

*سوق المرحلين، وهو معمور الجانبين بالحوانيت المملوءة برحلات الجمال وأقتابها وسائر ما تحتاج إليه يقصده الناس من سائر إقليم مصر خاصة في مواسم الحج، ولو أراد الإنسان تجهيز مائة جمل وأكثر في يوم لما شق عليه وجود ما يطلبه من ذلك لكثرة ذلك عند التجار في هذا السوق.

*سوق خان الرواسين، تعمل فيه الرؤوس والأكارع وكان من أحسن أسواق القاهرة ويشتمل على عدد من الباعة ونحو العشرين حانوت مملوءة بأصناف المأكل[١] .

*سوق الشماعين، وكان يعرف بسوق القماحين ويباع فيه الشموع المواكبية والفانوسية.

*سوق الدجاجين وكان يباع فيه كثير من الدجاج والإوز.

*سوق اللجميين ويباع فيه آلات اللجم ونحوها مما يتخذ من الجلد[٢] .

*سوق الحلاويين وهذا السوق يباع فيه ما يتخذ من السكر والحلوى[٣] .

*سوق الكتيبين، وهو فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية وتباع فيه الكتب[٤] .

*سوق الخراطين، ويسلك فيه من سوق المهمازيين إلى الجامع الأزهر وتباع فيه أسرة الأطفال وبه حوانيت الخراطين وصناع السكاكين[٥] .

*سويقة اللفت وكانت تشتمل على عدة حوانيت يباع فيها اللفت والكرنب ويحمل منها إلى سائر أسواق القاهرة.

---

(١) المقريزي: الخطط ج٢/ص٩٤

(٢) المصدر السابق ص٩٥

(٣) المقريزي: الخطط ج٢/ص٩٨

(٤) المصدر السابق ص٩٩

(٥) المصدر السابق ص١٠٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

•سوبعة راوية الخدام وتقع خارج باب النصر وكان فيها عدو حوانيت يباع فيها أنواع كثيرة من الأطعمة المختلفة[1].

تعقيب

كان من الطبيعي في بلد زراعي كمصر أن تقوم حياة المجتمع وتعتمد على الزراعة، فأهل القرية يزرعون في حقولهم المواد الغذائية كالحبوب والبقول وغيرها من المواد الأخرى التي تقوم عليها الصناعة، وأهل المدينة كانوا يعتمدون على القرى في سد حاجاتهم من الغذاء، ولابد لأهل القرى من بيع الفائض عن حاجتهم مما يزرعون، ومد صناعات المدن بالكثير مما يلزمها من المواد الأولية، كما كانت المدن تسد بعض مطالب أهل الريف من الإنتاج الصناعي، ولذا نشأت الحاجة إلى التبادل بين المدينة والقرى المجاورة لها،ولتيسير هذا التبادل أصبح لكل مدينة سوقها الخاص بها[2] .

ويرى البحث أن الأسواق في مصر كانت كثيرة ومتعددة نظرا لكثرة الإنتاج الزراعي والصناعي الذي تميزت به مصر .

ونلاحظ على الأسواق في مصر أنه كانت هناك بعض الأسواق التي تخصصت في الاتجار في سلعة معينة، وقسمت الأسواق الواحدة إلى عدة متاجر، تتاجر كلها في نوع واحد من السلع، ولذا يطلق اسم هذه السلعة على السوق نفسها[3] ، ولذا نجد سوق المرجلين[4]، سوق خان الرواسين[5] ، سوق الشماعين[6] سوق الدجاج، سوق اللجميين[7] ، سوق الحلاويين[8] ، سوق الكتبيين[9]، سوق الخراطين[10] .

---

(١) المصدر السابق ص١٠٣
(٢) المصدر السابق ص١٠٦
(٣) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص١٩٥- ١٩٦
(٤) ناصر خسرو: سفرنامه ص٨٢
(٥) المقريزي: الخطط ح٢/ص٩٥
(٦) المصدر السابق
(٧) المصدر السابق ص٩٨
(٨) المقريزي: الخطط ح٢/ص٩٨
(٩) المصدر السابق ص٩٩
(١٠) المصدر السابق ص١٠٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبالإضـــافة إلى هذه الأسواق كانت هناك الأسواق الشاملة التي تشمل عددا كبيرا من السـلع ولا تخـتص بسلعة واحد معينة ونراها في معظم مدن مصر كأسواق الإسكندرية وقلـيوب ودمياط ومنية غمر ودمسيس، ومليج، وسنباط، والجيزة وغيرها من المدن التي تقـيم سـوقا واحدا يشمل مختلف السلع، وقد وصفها ابن جبير بأنها حافلة بجميع الفواكه وغيرها من الحبوب وسائر المبيعات الطعامية[١] .

وتمـيزت الأسواق باتساعها فيوجد على جانبي كل سوق افريزان يمشي الناس عليهما فـي زمـن الشتاء إذا لم يكن السوق مبلطا، وأنشئت المصاطب التي تقام بجانبها واجهة الدكـان ويجلـس علـيها صاحب الدكان مع زبائنه، وأقيمت السقائف لحماية السابلة من المطر[٢] والشمس، وجعل لكل صنف من أصناف التجارة سوقا يختص بها[٣] .

وكانت لبعض الأسواق أيام معينة فنجد الإدريسي يذكر أن سوق قرية دمسيس يعقد يوم السـبت مـن كل أسبوع[٤] ، ويذكر ابن جبير أن سوق مدينة الجيزة يعقد يوم الأحد[٥] ، ويذكر الإدريسي أن قرية قدقوس لها سوق نافقة وهي يوم الأربعاء، ومنية اسنا لها سوق في يوم معلوم وكذلك مدينة انتوهي[٦] وتتميز أسواق مصر بوجود المحتسب الذي يشرف على الأسواق ويراقب الباعة والصناع، فقد كان المحتسب يتميز بدوره الكبير في المرور علـى الأسـواق والإشـراف على الباعة والصناع ويجعل لأهل كل صنعة عريفا خبيرا بصـناعتهم، بصـيرا بغشوشـهم وتدليساتهم مشهورا بالثقة والأمانة ويكون مشرفا على أحوالهم ويطالعه بأخبارهم وما يجلب إلى أسواقهم من السلع والبضائع وما تستقر عليه من الأسعار، ويقوم المحتسب بتنظيم الأسواق وضبط الموازين والمكاييل[٧] .

---

(١) المصدر السابق ص١٠٣

(٢) ابن جبير: الرحلة ص٨٥

(٣) المصدر السابق

(٤) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص١١

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص٣٣٤

(٦) ابن جبير: الرحلة ص٢٩

(٧) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص٣٣٢- ٣٣٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكـان أهل الأسواق يقومون بكنسها وتنظيفها من الأوساخ والطين المتجمع وغير ذلك ممـا يضـر بالناس[١] ويمنعون أحمال الحطب والتبن وروايا الماء وأوعية الرماد وأشباه ذلك من الدخول إلى الأسواق لما فيها من الضرر بملابس من يأتي إلى السوق[٢] .

أمـا الطرقات ودروب المحلات فلا يجوز لأحد إخراج جدار داره ولا دكانه فيها إلى الممر الذي يسير فيه الناس حتى لا يسبب الأذى والضرر لهم[٣]

المنشآت الخاصة بالتجار

أقيمـت مجموعة من المنشآت والمرافق مثل الوكالات والقيساريات والخانات والفنادق لخدمـة التجارة وتهيئة السبل أمام التجار حتى يستطيعوا ممارسة أعمالهم التجارية دون مشقة.

ويذكـر آدم مـتز أن الفـنادق لم تكن تقام إلا للتجار الغرباء، وكانت أشبه بالأسواق الكبـيرة، وكان التجار يضعون بضائعهم في أسفلها وينامون في أعلاها ويغلقون غرفهم بأقفال رومية واسم الفندق مشتق من الكلمة اليونانية pandokeion[٤] .

وقد سمحت الدولة للتجار الأوربيين بإقامة الفنادق في الموانئ الهامة ولكل جالية أوروبية فندقها الخاص تقيم فيه وتحفظ فيه بضائعها[٥] ، وفي الفندق كانت تعقد الصفقات التجارية، وفيه تحزم البضائع ثم تنقل إلى البواخر[٦].

ولم تكن الفنادق وقفا على جالية أجنبية دون أخرى إنما حصل الكثير منهم على فنادق، بخاصة تلك التي كانت رحلاتهم منتظمة[٧] .

---

(١) الشيزري: نهاية الرتبة ص١١، ١٢، ١٥

(٢) المصدر السابق ص١٤

(٣) المصدر السابق ص١٣

(٤) المصدر السابق ص١٤

(٥) آدم متز: تاريخ الحضارة الإسلامية ج٢/ص٢٨٤

(٦) د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ج٤/ص٤١٤

(٧) د. أنطوان خليل: الدولة المملوكية ص٢٠٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتوزعت الفنادق في الإسكندرية كما يلي: فندقان للبنادقة وفندق للجنوبيين، واختصت الجاليات التالية بفندق خاص بها: مرسيليا، ناريون، قلطونية، راجوزة، الحبشة، تركيا، موريتانيا[١] .

ويبدو أن الفنادق قد انتشرت داخل البلاد، فقد كانت هناك فنادق بمحلة صرد، والبجوم والكريون[٢] .

ويذكر المقريزي عدة فنادق مثل فندق ابن قريش الذي أنشأه القاضي شرف الدين إبراهيم بن قريش كاتب الإنشاء في دولة الملك العادل، وفندق دار التفاح تجاه باب زويله وفندق طرنطاي وكان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام إلى مصر[٣] .

ويذكر ابن جبير من الفنادق التي نزل بها بالفسطاط فندق أبي الثناء في زقاق القناديل بمقربة من جامع عمرو بن العاص[٤] وفي قوص فندق ابن العجمي[٥]، ويذكر ابن بسام أن بمدينة تنيس ستة وخمسين فندقا وقيسارية وآدرا[٦] .

ويبدو أن عدد الفنادق قد تضاعف في مصر بسبب رواج التجارة ووفرة رءوس الأموال ، وشدة إقبال التجار الأجانب على ارتياد أسواق مصر[٧].

وكان التجار المسلمون يقيمون وكالات خاصة بهم لتخزين البضائع وللإقامة بها عند وجودهم بمصر، وتصبح هذه الوكالة صلة بينهم وبين التجار المصريين الذين كانوا يقومون بدورهم بإنشاء وكالات من هذا النوع في بلاد الشام والعراق والحجاز[٨].

---

(١) المرجع السابق

(٢) المرجع السابق ص٢٠٩ نقلا عن : Heyde, ll, pp. 433- 434

(٣) د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ج٤/ص٤١٤

(٤) المقريزي: الخطط ج٢/ص٩٣-٩٤

(٥) ابن جبير: الرحلة ص١٩

(٦) المصدر السابق ص٤١

(٧) ابن بسام: أنيس الجليس ص١٨٤

(٨) د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ج٤/ص٤١٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأقيمت بمصر القياسر وهي مجموعة من المباني العامة على هيئة رواق من أروقة الدير، وبها حوانيت ومصانع ومخازن وأحيانا مساكن، وقد كثرت القياسر بمصر في ذلك العهد وعمرت بالتجار الوافدين عليها من كل مكان[١] .

وقد ذكر المقريزي عددا من هذه القياسر التي أنشئت ومنها قيسارية أبن قريش: أنشأها القاضي المرتضى ابن قريش[٢] ويسكن بها بعض التجار الأرمن والبزازين[٣] .

*قيسارية ابن أبي أسامة وقد أنشأها الشيخ أبو الحسن على بن أحمد الحسن بن أبي أسامه[٤] .

*قيسارية جهاركس: بناها الأمير فخر الدين جهاركس ويقول المقريزي إنه رأى جماعة من التجار يقولون: لم نر شئ من البلاد مثلها في حسنها وعظمها وإحكام بنائها" وقد بنى بأعلاها مسجد كبير[٥].

*قيسارية ابن يحيى: أنشأها القاضي المفضل هبة الله بن يحيى التميمي[٦] .

*قيسارية ابن ميسر الكبرى: هذه القيسارية أدركها المقريزي بمدينة مصر في خط سويقة وردان وهي عامرة يباع بها القماش الجديد من الكتان الأبيض والأزرق والطرح وتمضي تجار القاهرة إليها في يومي الأحد والأربعاء لشراء الأصناف المذكورة[٧] .

*قيسارية عبد الباسط: هذه القيسارية برأس الخراطين من القاهرة[٨] .

---

(١) المرجع السابق ص٤١٥

(٢) د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام ج٤/ص٤١٥

(٣) هو القاضي المرتضى صفي الدين أبو المجد عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش المخزومي أحد كتاب الإنشاء أيام صلاح الدين وقتل شهيدا على عكا سنة ٥٨٦هـ ودفن بالقدس (الخططج٢/ص٨٦)

(٤) المقريزي: الخطط ج٢/ص٨٦

(٥) المصدر السابق

(٦) المقريزي: الخطط ج٢/ص٨٧

(٧) المصدر السابق ص٩٠

(٨) المصدر السابق ص٩١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما الخانات فقد كانت عبارة عن مجموعة ضخمة من الحوانيت والمستودعات التجارية في وسطها بهو كبير مسقوف استعمل لحفظ سلع التجار، وفي الخان يأخذ التاجر راحته وتستريح دوابه ويستطيع أن يبيت فيه، وخارج الخان يوجد ساقية للسبيل، وحانوت يشتري منه المسافر ما يحتاج لنفسه ولدوابه[١] .

ويذكر المقريزي عددا من الخانات مثل:

*خان مسرور: وكانت تنزله أعيان التجار الشاميين بتجارتهم[٢] .

*خان السبيل: ويقع خارج باب الفتوح وقد أنشأه الأمير بهاء الدين أبو سعيد قراقوش عبد الله الأسدي لأبناء السبيل والمسافرين.

*خان منكورش: ويقع هذا الخان بالقرب من الجامع الأزهر وقد أنشاء الأمير ركن الدين منكورش [٣] .

نظم المعاملات التجارية

أولا: السكة(العملة):

يعرف ابن خلدون السكة بقوله: "السكة هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدنانير أو الدراهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة" ثم يقول: "ولفظ السكة كان اسما للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك، ثم نقل أثرها وهي النقوش المماثلة على الدنانير أو الدراهم، ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه، وهي الوظيفة فصار علما عليها في عرف الدول"[٤] .

وتعتبر السكة وسيلة هامة من وسائل التعامل التجاري في البيع والشراء، وترجع أهميتها إلى أنها كانت توضح مدى التقدم والازدهار الاقتصادي والحضاري للدولة،

---

(١) المصدر السابق

(٢) د. أنطوان خليل: الدولة المملوكية ص٢١٠- ٢١١

(٣) المقريزي: الخطط ج٢/ص٩٢

(٤) المصدر السابق ص٩٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكانـــت هذه العملة عبارة عن الدينار، وهو الاسم الذي يطلق على النقود الذهبية، كما أن أسم الدرهم يطلق على النقود الفضية[١] .

وكلمة الدينار تقابل كلمة ديناريوس Denarius عند اللاتين وكلمة deniers عند الفرنسيين[٢] ، أما الدرهم فهي كلمة مأخوذة من لفظ Derahme اليونانية[٣] .

ولقد ظلت مصر بعد الفتح الإسلامي تستخدم سكة الخلافة، إلى أن قام أحمد ابن طولون بضرب دنانير سميت بالدينار الأحمدي[٤] .

ولمـــا فتح جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨هـــ عمل على إصدار عملة جديدة تحمل أســـم الفاطميين[٥] فلما زالت الدولة الفاطمية، وتولى الأيوبيين حكم البلاد ضرب صلاح الدين السكة في سنة ٥٦٧هـــ باسم الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله، وباسم نور الدين محمود[٦] .

ولمـــا توفـــى نور الدين محمود أمر صلاح الدين في سنة ٥٨٣هـــ بأن يضرب الدينار ذهبا مصريا، وضرب الدراهم الناصرية، وجعلها من فضة مخلوطة بالنحاس على التساوي[٧] .

فلمـــا تولى الملك الكامل الحكم أمر بإلغاء الدرهم الناصري وفي سنة ٦٢٢هـــ أمر بضرب دراهم مستديرة سميت باسمه، وجعل الدرهم الكامل ثلثاه فضة خالصة والثلث نحاس[٨] واستمرت هذه الدراهم مدة ملوك بني أيوب[٩] .

وكـــان من الطبيعي أن تكون الاضطرابات التي حدثت عقب سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك مقترنة باضطراب النقد واختلاله رغم أن السلاطين الأوائل من أمثال

---

(١) ابن خلدون: المقدمة ص٣٢٢.
(٢) د. عبد المرضي محمد عطوة: العلاقات بين المغرب والأندلس ص٢٧٨- ٢٧٩.
(٣) صامويل برنار: وصف مصر ص١٥.
(٤) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص١٦ الحاشية.
(٥) المقريزي: الخطط ج١/ ص٤٢.
(٦) المقريزي: شذور العقود ص١٣٩.
(٧) المقريزي: شذور العقود ص١٤٣.
(٨) المصدر السابق ص١٤٤.
(٩) العمري: مسالك الأبصار ص٨٠٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شجر الدر وعز الدين أيبك والمنصور على والمظفر قطز قد سكوا نقودا باسمهم إلا أن النقد ظل مضطربا طوال السنوات العشر الأولى من دولة المماليك إلى أن تولى الظاهر بيبرس وأمر بضرب دراهم جديدة عرفت باسم الدراهم الظاهرية ، كما قام السلطان الناصر فرج بن برقوق بسك دنانير ذهبية عرفت بالدنانير الناصرية، وفي سنة ٧٥٩هـ قام السلطان الناصر حسن ابن الناصر محمد بن قلاوون بضرب فلوس جديدة اشتهرت تحت مسمى الفلوس الجدد والحقيقة أن اضطراب العملة المتداولة في عصر المماليك أدى إلى زعزعة الحياة الاقتصادية ونتيجة لضعف ثقة الناس في قيمة النقود عمدوا إلى نظام المقايضة في كثير من الأحيان(١) .

ثانيا: الصكوك :

لما كانت المعاملات الضخمة تستدعي وسائل للدفع مأمونة من الضياع خفيفة الحمل بعيدة عن متناول اللصوص(٢) .

ظهرت الحاجة إلى استعمال الصك، وقد استخدمه التجار في مصر والحجاز وأقطار أخرى من العالم الإسلامي.

ويعرف الخوارزمي الصك بأنه يجمع فيه أسماء المستحقين وعدتهم ومبلغ ما لهم ويوقع السلطان في آخره بإطلاق الرزق لهم(٣) .

وقد صار الصك من وسائل التعامل التجاري، إذ يعتبر في الأصل سند الدين(٤) وهو أشبه بالشيك في الوقت الحاضر(٥) .

ويرى آدم متز أن التعامل بالصك هو أرقى ما وصل إليه التعامل المالي بين التجار المسلمين(٦) .

---

(١) المقريزي: شذور العقود ص١٤٦.

(٢) د. سعيد عاشور: المجتمع المماليكي ص٣١٨-٣١٩.

(٣ آدم متز: الحضارة الإسلامية ج٢/ص٢٧٨.

(٤) الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص٨٣.

(٥) آدم متز: الحضارة الإسلامية ج٢/ص٢٧٩.

(٦) د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام ج٤/ص٤١٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثا: الموازين :

كانـت الموازين المستخدمة في مصر هي القنطار- الرطل- الأوقية- الدرهم- المن، وكـان القـنطار المتعارف عليه مائة رطل، والرطل المصري يقدر باثنتي عشرة أوقية والأوقية تقدر بأنثى عشر درهما، لذا يقدر الرطل المصري بمائة وأربعين درهما. ويقدر المن بمائتين وستين درهما[1] .

ولقد أختلف وزن الرطل في جميع مدن مصر، فكان لكل مدينة ومنطقة رطلها الخاص بهـا، ومن النادر أن نجد مدينة يوافق وزن رطلها مدينة أخرى، ولقد عرض ابن الأخوة لهذه الاختلافات كما يتضح من البيان التالي:

الرطل المصري	١٤٤ درهم
الرطل الليثي[2]	٢٠٠ درهم
الرطل الجروي	٣١٢ درهم
رطل اللحم والخبز بمدينة قوص	٣١٥ درهم
بقية السلع بمدينة قوص(بالرطل الليثي)	٢٠٠ "
رطل اللحم والخبز بمدينة أسيوط	١٦٠٠ "
بقية السلع بمدينة أسيوط(بالرطل الليثي)	٢٠٠ "
رطل اللحم والخبز بمدينة منفلوط (بالرطل الليثي)	٢٠٠ "
بقية السلع بمدينة منفلوط(بالرطل المصري)	١٤٤ "
رطل منية ابن الخصيب(الرطل المصري)	١٤٤ "
رطل اللحم والخبز بمدينة أخميم(ويسمى المن)	١٠٠٠ "
بقية السلع بمدينة أخميم (بالرطل الليثي)	٢٠٠ "
رطل مدينة المحلة	٣٣٦ "
رطل مدينة الإسكندرية	٣١٢ "
رطل مدينة دمياط	٣٣٠ "

---

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية ج٢/ص٢٨٠.

(٢) الشيزري: نهاية الرتبة ص١٥- ١٦، العمري: مسالك الأبصار ص٨١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(الرطل البلبيسي)رطل مدينة بلبيس ١٨٠ "

رطل مدينة سمنود ١٨٠ "

رطل مدينة الفيوم ١٥٠ " (١)

واختلف كذلك مبلغ ما تحتويه الأوقية من الدراهم في كثير من مدن مصر على النحو التالي: (٢)

أوقية رطل مصر	١٢ درهم
أوقية رطل قليوب/ الفيوم	١٢١/٢ درهم
والرطل الفلفلي	
أوقية الرطل الليثي	١٦ ٢/٣ درهم
أوقية الرطل الجروي	٢٦ "
أوقية الرطل بدمياط	٢٧ ١/٢ "
أوقية الرطل بقوة	٣٠ "
أوقية الرطل بالمحلة	٣٣ ١/٣ "
أوقية الرطل بأسيوط	٣٣٦ "

وطما وطهطا

رابعا : المكاييل :

كانت المكاييل المستخدمة في مصر هي: الأردب- الويبة القدح، ويعتبر الأردب أكبر وحـــدة للمكـــيال بمصر ويساوي ست ويبات(٣). وتليه الويبة وتساوي ستة عشر قدحا(٤)، والقدح وتقديره بالوزن من الحب مائتان وثلاثون درهما(٥)

---

(١) الليثي نسبة إلى مدينة الليث وبني هاشم من أعمال الغربية في ذلك العصر وهما مجموعتان كبيرتان ذكرهما ابن مماتي(ابن الأخوة: معالم القرب- حاشية ص١٣٨ نقلا عن ابن مماتي: قوانين الدواوين).

(٢) ابن الأخوة: معالم القربة ص١٣٩- ١٤٠.

(٣) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٢٠٤ نقلا عن M.H. Sauvaire Materiaux pour:
Serviral'histoire de la numismatique et de la metrologee musulmanes pp302- 304.

(٤) المقدسي أحسن التقاسيم ص٢٠٤.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى ج٣/ص٤٤١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونظـرا لأن الحجـاز كانت تعتمد على إنتاج مصر من الغلال والحبوب فإن الأردب المصري يساوي أربعة وعشرين صاعا حجازيا والويبة تساوي أربعة وعشرين مدا[١] .

خامسا: المكوس:

المكوس هي عبارة عن الرسوم التي فرضت[٢] على كل عمليات البيع والشراء حيـث كانت تحصل على السلع الصادرة والواردة مهما كان نوعها، فقد فرضت الرسوم علـى البضائع التي يجلبها التجار الكارمية في البحر الأحمر من جهة الحجاز واليمن وما والاهما ويجري تحصيلها في أربع المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٤.

جهات: عيذاب وكانت تعج بالنشاط لكثرة السفن العابرة من جدة إليها، ومن عيذاب يتم نقل البضائع إلى قوص تحمل البضائع عن طريق النيل إلى فندق الكارم بالفسطاط، أما الجهة الثانية فهي القصير وترددت إليها بعض السفن لقربها من قوص، وبعد عيذاب منها، ويجـري حمل البضائع إلى قوص، ثم إلى فندق الكارم بالفسطاط، إلا أن القصير لم تكن في نشاط عيذاب، ويضاف إلى هذين الموضعين الطور والويس غير أنهما لم ينالا الأهمية المطلوبة[٣] .

وقـد اختلفـت قـيمة الرسـوم فكان يؤخذ من تجار الروم الواردين على الثغر الخمس، ومن أجناس الروم من يسدى منهم العشر، ولم تكن هناك نسبة ثابتة فأحيانا تصل إلى ٣٥% من قيمة البضائع، وقد تهبط إلى ٢٠%، وكانت الرسوم المفروضة على تجار المسـلمين أقل بطبيعة الحال من التي يدفعها التجار المسيحيون، ويبدو أن حاجة الحكومة إلـى الأمـوال كانت سببا في رفع المكوس وخاصة خلال الشدائد والأزمات، كما أنها قد تزداد على سلع الترف[٤] .

أمـا المكـوس التي كان يجرى تحصيلها بالفسطاط والقاهرة فإنها كانت كثيرة ومتعددة شملت الرسوم على البضائع الواردة على المدن والتفتيش والمخازن

---

(١) العمري: مسالك الأبصار ص٨١.

(٢) علي بن سليمان: النشاط التجاري ص٢٦٧.

(٣) د. السيد الباز العريني: مصر في عصر الأيوبيين ص١٩٤

(٤) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٢٦٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- و الأســواق والبضــائع الصادرة من المدن وحراسة الغلات بالمقس ورسوم الدلالة وأجور استخدام المعديات على النيل[١] . وكانت هذه الرسوم تدفع إلى بيت المال في القاهرة، أما في الأرياف فكانت تدفع إلى السلطات المحلية[٢] ، وهذه المكوس لم تكن مــن ابتكار المماليك، بل كان جلها موروثا عن العصور السالفة حتى تولى السلطان قطز وأحدث مكوسا كثيرة لأجل جمع تمال وقتال المغول وهذه المكوس لم تكن ثابتة علــى حال واحد طوال عصر المماليك فقد يلجأ أحد السلاطين إلى التشدد في جمعها ورفــع قيمــتها ثــم يعقبه سلطان آخر يحاول لتخفيف عن الرعية فيلغى بعض هذه المكــوس أو معظمهــا ومــن أمــثلة هذه المكوس مكس ساحل الغلة وهي الضريبة المفروضــة على الغلات والاتجار فيها ورسوم الولاية التي يجمعها الولاة من عرفاء الأســواق ومقــرر الحوائص والبغال ومقرر السجون وهو مبلغ يؤخذ على كل من يسجن ولو لفترة قصيرة ومقرر الأقصاب والمعاصر وهو ما يجني من مزارع قصب الســكر ومــن رجال المعاصر ومقرر المراكب وهو ما يؤخذ من كل مركب وزكاة الدولــة وهــو مــا يؤخذ من الرجل عن زكاة ماله هذا عدا المكوس المفروضة على الخمــور وبيوت البغاء وقد استغل المماليك الأموال التي جمعوها في شراء المماليك وتربيتهم والأنفاق عليهم[٣] .

الموانئ والمحطات التجارية :

***الفسطاط :**

كانــت الفسطاط من أهم المراكز التجارية في مصر وقد وصفها الإدريسي بقوله: "هي الآن مدينة كبيرة على غاية من العمارة والخصب والطيب والحسن فسيحة الطرقات متقنة البناءات قائمة الأسواق نافقة التجارات"[٤] وترجع أهميتها التجارية إلى أنها تقع على النيل فــي مكان متوسط بين الوجهين القبلي والبحري وعلى مقربة من النقطة التي ينقسم فيها

---

(١) المرجع السابق ص٢٠١.

(٢) المرجع السابق ص٣٤٥

(٣) د. سعيد عاشور: العصر المماليكي ص٣١٤.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق ج١/ص٣٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النيل إلى فرعيه الرئيسيين، كما أنها تتصل بالنيل بكافة البلاد من أسوان حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط، وكانت ترتبط بالبلاد بواسطة القوافل حيث تخرج منها طرق برية مباشرة إلى بلاد الحجاز والشام، وبلاد المغرب العربي، وبذا وصلت إليها التاجر من أوربا وآسيا وإفريقية[١] ومنها كانت ترد المؤن والإعانات إلى مكة المكرمة[٢].

***القاهرة :**

أخذت القاهرة تنافس الفسطاط وتزدهر تجاريا نظرا لوقوعها عند التقاء الطرق التجارية، فالطريق الذي أستعمل لنقل السلع بين إفريقية وأسيا وفي حج المسلمين الأفريقيين إلى مكة كان يمر في وسطها، وفضلا عن أن الطريق الذي كانت تحمل عليه السلع الثمينة من السودان والحبشة وكان ينتهي فيها، وفيها تمركز الجهاز العسكري والإداري الحاكم الذي جذب إليه تجارة البحرين الأحمر والمتوسط[٣] وقد وصف المقريزي ازدهار تجارتها ورواجها بقوله: "هي عظيمة آهلة يجبى إليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال ما لا يحيط بجملته وتفصيله إلا خالق الكل جل وعلا"[٤] .

فالسلع التي كانت ترد إلى الإسكندرية ودمياط كانت ترسل بدورها إلى بولاق ميناء القاهرة على النيل وأسواقها كانت مزدهرة، وعامرة بجميع أنواع السلع المحلية والأجنبية الشرقية والغربية فكان فيها سوق للأقمشة الإيطالية والأوربية، وأخرى للسلع الفارسية فضلا عن أسواق التجارة الكارمية[٥] ، وهكذا صارت القاهرة مستودعا للسلع التجارية

---

(١) د. البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص١٩٩.

(٢) د. عطية القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر ص٣٨.

(٣) د. انطوان خليل: الدولة المملوكية ص١٨٨.

(٤) المقريزي: الخطط ج١/ص٣٦٧.

(٥) تجار الكارمية هم تجار التوابل وغيرها من سلع الشرق الأقصى بين المحيط الهندي ومصر عبر البحر الأحمر، ، وكانت المحطات الكبرى للتجارة الكارمية في عدن، وتعز، وزبيد ومخازنهم التجارية في قوص حيث نظموا شئونهم الاقتصادية ، ومن عيذاب والطور والسويس كانت تبدأ رحلاتهم بين البحر الأحمر وقوص والقاهرة والإسكندرية ودمياط وكانوا يغرقون أسواق مكة وجدة في مواسم الحج بسلعهم المتنوعة وفيهما تعقد الصفقات التجارية الكبرى(أنظر د. صبحي لبيب: التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى- المجلة المصرية للدراسات التاريخية مايو ١٩٥٢- العدد الثاني/المجلد الرابع/ص ١٢- ١٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العالمية التي كان يتزود منها التجار العرب والمسلمون[١] .

***الإسكندرية :**

كانت الإسكندرية مربعة الشكل ولها أربعة أبواب موزعة على الجهات الأربع وفيها طريق رئيسي يصل الباب الشرقي بالباب الغربي، وينفرج الباب الشمالي على الميناء وبالقرب منه يمتد الحي الأكثر ازدحاما بالسكان، حيث الحي لتجاري وفيه كانت تنتشر مؤسسات الأجانب التجارية ومراكز قنصلياتهم، وكانت أسواق الإسكندرية تعد من أكبر وأشهر أسواق البهرات في العالم، وكانت تحمل إليها الأقمشة الأوربية المتنوعة. والبهارات من آسيا، والذهب من السودان، والمعادن والأخشاب من أوربا والسجاد والأحجار الكريمة من بلاد فارس، وفيها كانت تتم المبادلات التجارية العالمية[٢].

***عيذاب :**

شهد العصر الإسلامي بمصر نشأة ميناء عيذاب على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر، ولقد استمدت شهرتها من أهمية الدور الذي قامت به كقاعدة بحرية تجارية لتجارة الرق الأقصى عبر مصر إلى أوربا، وكمرحلة هامة في طريق قوافل الحجاج إلى المقدسات الإسلامية بالحجاز عبر البحر الأحمر نظرا لموقعها المواجه لميناء جدة[٣]وكانت عيذاب تستخدم في السفر إلى مكة والحجاز [٤] ، وفقد ظل حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتي سنة لا يتوجهون إلى مكة إلا من صحراء عيذاب[٥] فيركبون المراكب في النيل من الفسطاط إلى قوص ، ثم يركبون الإبل من قوص، ويعبرون هذه الصحراء إلى عيذاب ثم يركبون السفن إلى جدة ومنها إلى مكة[٦] وكان البحارة والتجار يفضلون الرسو فيها عند

---

(١) د. أنطوان خليل: الدولة المملوكية ص١٨٩.

(٢) المقريزي: الخطط ج١/ص٢٠٢.

(٣) د. أحمد دراج: عيذاب ص٥٧.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور ج١ق١/ص٢٠.

(٥) المقريزي: الخطط ج١/ص٢٠٢.

(٦) إبن إياس : بدائع الزهور ق١/ص٢٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قدومهم إليها أو عند رحيلهم عنها بسبب عمق مينائها وغزارة مياهها وخلوه من الشعاب المرجانية التي تعيق الملاحة[١] .

وكانت تجبي بها الرسوم على البضائع الواردة من الحجاز واليمن وزنجبار والهند والحبشة[٢] .

وقد ساد الأمن والاستقرار في عيذاب بحيث كانت البهار كالقربة والفلفل ونحو ذلك نوجد ملقاه بها دون أن يتعرض لها أحد حتى يأتي صاحبها ويأخذها[٣] .

ونظرا لقرب عيذاب من جدة فقد كانت الغلات الآتية من الحبشة، وساحل أفريقية واليسمن والهند، وما بعدها تصل إلى عدن، إذ هي نقطة ابتداء البحر الأحمر ثم تنقل منها مباشرة إلى جدة، ومن جدة تنقل إلى عيذاب[٤] .

***دمياط :**

يعد ميناء دمياط من الموانئ المهمة في مصر فهو ثالث الثغور التي تقع على ساحل مصر الشرقي وهي تنيس والفرمة ودمياط[٥] ويعتبر مخرج التجارة المصرية إلى البحر المتوسط ويتصل بالقوافل البري إلى موانى البحر الأحمر، ولا تدخل إليه المراكب مباشرة بسبب شدة تيار مياه النيل فقد كانت تخرج منه قناة تصل حتى مدينة تنيس حيث كانت ترسو المراكب[٦] وقد برزت دمياط في ميدان التجارة والصناعة، وصارت مركزا مهما لصناعة النسيج، كما كانت تبنى فيها السفن التجارية والحربية[٧] .

---

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية ج٢/ص٣١٩، القلقشندي: صبح الأعشى ج٣/ص٤٦٤.

(٢) ناصر خسرو: سفرنامه ص١١٨، د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٢٨٩

(٣) المصدر السابق ص٤٤- المقريزي: الخطط ج١/ص١٠٢/الجزيري: درر الفرائد ج٢/ص٤٠٠

(٤) د. راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص٢٩٢.

(٥) د. حسين إبراهيم: تاريخ الإسلام ج٤/ ص٤٠٦.

(٦) د. أنطوان خليل: الدولة المملوكية ص١٩٢.

(٧) د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام ج٤/ص٤٠٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

*القصير :

ويقع ميناء القصير في جهة الشمال من عيذاب وكانت بعض المراكب تقصده لقربه من قــوص، ويعد عيذاب منها، وتحمل البضائع منه إلى قوص، ومن قوص إلى فندق الكارم بالفسطاط[١] .

*القلزم :

كانــت القلــزم من الموانئ ذات الصلة التجارية بموانئ الحجاز[٢] ، وفيها كانت تبني بعض السفن التجارية[٣] ومنها تحمل الحمولات إلى الحجاز واليمن[٤] وقد وصفها المقدسي بأنها خزانة مصر وفرضة الحجاز ومعونة الحاج[٥] .

*الفرما :

صــارت الفــرما(وكانــت مفــتاح الديار المصرية) من المراكز التجارية بين الشرق والغرب[٦]، فقد كانت البضائع تجلب من الموانئ الأوربية المختلفة إلى الإسكندرية والفرما ثم منها إلى الحجاز، وكانت الفرما حلقة اتصال بين موانئ البحر المتوسط والبحر الأحمر وهي محطة أوربا وسورية[٧].

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ج٣/ص٤٦٩

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور ج١ ق١/ص٢٧

(٣) الحميري: الروض المعطار ص٤٦٧

(٤) المقريزي: الخطط ج١/ص٢١٣

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١٩٦

(٦) د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام ج٤/ص٤٠٦، المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٩٥

(٧) د. عطية القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر ص٣٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

دار هـذا البحث حول الحياة الاقتصادية في مصر زمن المماليك وبين أنه قد حدث تطـور فـي جميع القطاعات الاقتصادية نتيجة الظروف الطبيعية الملائمة وسيادة الأمن والاستقرار باستثناء الفترات القصيرة التي كانت تحدث فيها بعض الفتن أو الثورات.

وبين البحث أن سلاطين المماليك اهتموا بالزراعة اهتماما كبيرا فأقاموا الجسور وحفـروا الـترع حرصا على وصول المياه إلى أراض لم تصل إليها من قبل، كما كانوا يرسـلون في كل عام مجموعة من الأمراء إلى مختلف الأعمال لعمارة الجسور ويعرف الأمـير منهم باسم كاشف الجسور وكان بعض سلاطين المماليك يخرجون بأنفسهم لتفقد أحوال مرافق الزراعة ولذا ازداد محصول الأرض الزراعية في مصر زمن المماليك.

أهـتم سـلاطين المماليك بالثروة الحيوانية وعملوا على تحسين سلالتها وجلب الأنواع الممتازة لتربيتها والإكثار منها .

وبين البحث أنه على الرغم من العناية بالزراعة ومرافقها في زمن المماليك فإن هذا الاهتمام لم يكن يرقى إلى حد تقدم الفلاحين أو ارتفاع مستوى معيشتهم فالفلاح آنذاك كان يحيا حياة بسيطة مليئة بالكد والجهد ولتعب في خدمة الأرض التي يزرعها وليس له من خيراتها إلا القليل.

وبيـن البحـث أنه كان للصناعة حظ كبير من عناية ورعاية سلاطين المماليك لمالهـا من أثر كبير في رواج التجارة وازدهار الاقتصاد فاهتموا باستخدام موارد الثروة المعدنية على اختلافها فاستخدموا الذهب والفضة والنحاس والحديد كما أقاموا الصناعات التي اتخذت مادتها الخام من الزراعة.

كمـا اهـتموا بوجه خاص بدور صناعة السفن وكان بعض السلاطين يتفقدون أمورها بأنفسهم.

وأكـد البحث أن اهتمام السلاطين لم يكن مقصورا على الزراعة والصناعة؛ بل اهتموا أيضا بتيسير سبل التجارة وأقاموا المحطات والآبار في طرق القوافل وكان لعملهم هـذا أثـر كبير في إنعاش حركة التجارة التي صارت من أكبر موارد الكسب في الدولة المملوكية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبيـــن البحـــث أن المكـــوس التي قام المماليك بفرضها لم تكن جلها من ابتكار المماليـــك؛ بل كانت موروثة عن العصور السالفة، كما أنها لم تكن ثابتة على حال واحد طوال عصر المماليك فقد يلجأ أحد السلاطين إلى التشدد في جمعها ورفع قيمتها ثم يعقبه سلطان آخر يحاول التخفيف عن الرعية فيقوم بإلغاء بعض هذه المكوس أو معظمها، وقد استغل ســـلاطين المماليـــك الأموال التي جمعوها في شراء المماليك وتربيتهم والأنفاق عليهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

* اتعاظ الحنفا بأخبار الأمة الفاطميين الخلفا للمقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علـي ت ٨٤٥هـ) ج١ تحقيق د. جمال الدين الشيال ١٩٦٧م، ج٢ تحقيق د. محمد حلمي محمد – القاهرة ١٩٧١م، ج٣ تحقيق د. محمد حلمي محمد- القاهرة ١٩٧٣م.
* أحسـن التقاسـيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (شمس الدين أبو عبد الله ابن محمد ت ٨٣٠هـ)ط٢ ليدن ١٩٠٩م وطبعة أخرى ١٩٦٧م.
* الأحكـام السلطانية والولايات الدينية للماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت٤٥٠هـ) ط١ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
* الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر للبغدادي (عبد اللطـيف بن يوسف ت ٦٢٩هـ) الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م دار قتيبة- دمشق.
* أنيس الجليس في أخبار تنيس لابن بسام (محمد بن أحمد المحتسب التنيسي) مخطوط مصـور بالميكروفـيلم رقم ٣٠١٨٧ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٠ بلدان تيمور .
* بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس (محمد بن أحمد ت٩٣٠هـ) ج١ ق١، ج ٥ تحقيق محمد مصطفى- القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
* تـاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي- حسن إبراهيم حسن- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ١٩٨٢م.
* التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى- د.صبحي لبيب- مقال بالمجلة المصرية للدراسات التاريخية- العدد الثاني- المجلد الرابع- مايو ١٩٥٢م.
* تجـارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية- د. عطية القوصي- القاهرة ١٩٧٦م.
* الـثروة النباتـية عند قدماء المصريين- وليم نظير- الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

* حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين- د. راشد البراوي- الطبعة الأولى- مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٨هـ/١٩٤٨.
* الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري- آدم متز- ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة- ط٢ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.
* الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي- الزراعة- د. عامر نجيب موسى- دار الشروق ٢٠٠٣م.
* الخراج لأبي يوسف (القاضي يعقوب بن إبراهيم ت١٨٢هـ) ط٥ المطبعة السلفية ١٣٩٦هـ.
* الدولة الفاطمية في مصر- د. محمد جمال الدين سرور- دار الفكر العربي ١٩٧٠م ونسخة أخرى ١٩٧٩م.
* الدولة المملوكية- د. أنطوان خليل- بيروت- الطبعة الأولى ١٩٨٠م.
* الرحلة لابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد ت ٦١٤هـ) دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
* الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (محمد بن عبد المنعم الصنهاجي ت٩٠٠ هـ) تحقيق د. إحسان عباس- ط٢ مكتبة لبنان ١٩٨٤م.
* سفرنامه- ناصر خسرو علوي- ترجمة د. يحي الخشاب ط٣- دار الكتب الجديد- بيروت ١٩٨٣م.
* السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد ابن علي ت٨٤٥ هـ) ج١ ق١ تحقيق د. محمد مصطفى زيادة- دار الكتب المصرية ١٩٣٤م.
* شذور العقود في ذكر النقود للمقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد ابن علي ت٨٤٥ هـ) تحقيق د. محمد عبد الستار عثمان ط أ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م مطبعة الأمانة بمصر.
* صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت٨٢١هـ) المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٤م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

* صحيح مسلم- (أبو الحسين مسلم بن الحجاج ت٢٦١هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر- بدون تاريخ.
* طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى- د. نعيم زكي فهمي - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.
* العصر المماليكي في مصر والشام- د. سعيد عبد الفتاح عاشور- دار النهضة العربية- الطبعة الثانية ١٩٧٦م.
* العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد ت ٨٣٢هـ) ج ١ تحقيق محمد حامد الفقي- ط٢- مؤسسة الرسالة- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
* العلاقات بين المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب- عبد المرضي محمد عطوه- رسالة دكتوراه- كلية دار العلوم- جامعة القاهرة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
* علوم الزراعة في القرآن الكريم- د. مصطفى كمال- القاهرة ١٩٧٠م.
* العمارة الإسلامية في مصر- د. كمال الدين سامح- مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٠م.
* عيذاب- د. أحمد دراج- مقال مجلة نهضة إفريقية- السنة الأولى- العددان التاسع والعاشر- يوليو- أغسطس ١٩٥٨م.
* فتوح البلدان للبلاذري (أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر ت ٢٧٩هـ) تعليق رضوان محمد رضوان- دار الكتب العلمية- بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
* الفن الإسلامي- أصوله- فلسفته- مدارسه- أبو صالح الألفي- الطبعة الثالثة- دار المعارف بمصر.
* القاهرة مدينة الفن والتجارة- جاستون فييت ترجمة د. زكي محمد حسن- مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.
* لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول للأسحاقي- المطبعة الميمنية- القاهرة- ١٣١٠هـ.
* المدخل لابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي ت٧٣٧ هـ)- دار الفكر للطباعة والنشر ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

* مسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري (شهاب الدين أحمد بن يحي ت٧٤٩ هـ)- تحقيق أيمن فؤاد سيد- المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ١٩٨٥م.
* مصر في عصر الأيوبيين- د.السيد الباز العريني- سلسلة الألف كتاب رقم ٢٦٩- الناشر مطبعة الكيلاني الصغير ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.
* مصر في العصور الوسطى- الأوضاع السياسية والحضارية- د.محمود الحويري- دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- طبعة ٢٠٠٣م.
* معالم القربه في أحكام الحسبة لابن الأخوة(محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت٧٢٩ هـ)- تحقيق محمد محمود شعبان وصديق المطيعي- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.
* مفاتيح العلوم للخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف ت٣٨٧هـ) تحقيق إبراهيم الابياري- الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م بيروت.
* المقدمة لابن خلدون (ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت٧٣٢هـ) تحقيق خليل شحاده- مراجعة د. سهيل زكار- دار الفكر للطباعة والنشر- ط أ ١٤٠١ هـ/١٩٨١م.
* المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية للمقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ت٨٤٥هـ) دار صادر بيروت- د . ت.
* النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة (القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد (علي بن موسى بن محمد ت٦٧٣هـ) تحقيق د.حسين نصار-مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م.
* نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله- من أعلام ق٦هـ)- عالم الكتب ط١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
* النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى ١٢٥٠-١٥١٧م- علي بن الحسين السليمان رسالة دكتوراه- آداب القاهرة ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

* نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزري (عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله ت حوالي ٥٨٩هـ) تحقيق السيد الباز العريني مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦م.
* وصف مصر- الكتاب الرابع- ب.س- جيرار- ترجمة زهير الشايب مكتبة مدبولي- ١٩٧٨م(الزراعة- الصناعة- الحرف).
* وصف مصر الكتاب السادس- الموازين والنقود- صامويل برنار- ترجمة زهير الشايب- مكتبة مدبولي ١٩٨٠م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner